الطلاق العظيم

رواية
عن رحلة من
الجحيم إلى الفردوس

www.christianlib.com

سي. أس. لويس

سي. أس. لويس
الطلاق العظيم

سي إس لويس

اَلطَّلَاقُ اَلعَظِيم

ترجمة: أمجد عنتر

مراجعة: د/ مينا جرجس

هذه ترجمة كتاب:

The Great Divorce
By: C. S. Lewis
Copyright © 1972, By Fontana Religious House, as The Great Devorce (TGD), by C. S. Lewis. Translated and Printed by Permission of Fontana Religious Books, P.O. Box 1700, Downers Grove, Illinois 60757, USA.
Arabic Translation © 2019, Resaletna Publishing
All Rights Reserved

الكتاب: الطلاق العظيم

الكاتب: سي إس لويس

المترجم: أمجد عنتر

مراجعة: مينا جرجس

مراجعة لغوية وإعداد للنشر: أمجد بشارة

تصميم الغلاف: موريس وهيب

الناشر: رسالتنا للنشر والتوزيع

للتواصل وطلب الكميات:

٠١٢٨٥٤٧٠٢٤٥ – ٠١٢٢٠٣٨٧٥٤٨ – ٠١٠٠٩٧٠٦٩١٦

Email: resaltnasalampublshing@gmail. com

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٣١٩٥/ ٢٠١٩

مطبعة:

الطبعة: الأولى، ٢٠١٩

{جميع الحقوق محفوظة للناشر، ويحظر طبعة أو إعادة نشره أو الاقتباس منه إلا بإذن كتابي من الناشر}

إهداء

إلى أخي وأختي

وبالأخصّ صديقى مينا جرجس

لولاكم لما اكتمل هذا العمل

الفهرس

إهداء	٣
الفهرس	٥
مُقدِّمة الناشر	٧
مُقدِّمة المترجم	٩
الفصل الأوّل	١١
الفصل الثاني	١٧
الفصل الثالث	٢٩
الفصل الرابع	٣٥
الفصل الخامس	٤٣
الفصل السادس	٥٧
الفصل السابع	٦٣
الفصل الثامن	٧١
الفصل التاسع	٧٩
الفصل العاشر	١٠٧

الفصل الحادي عشر ١١٥

الفصل الثاني عشر ١٣٧

الفصل الثالث عشر ١٤٩

الفصل الرابع عشر ١٦٥

مُقدِّمة الناشر

في سعيها الحثيث لنشر كلّ ما له أن يُساعد في تغيير الوعي المسيحيّ العربيّ عامّة والمصريّ خاصّة من الجمود إلى الانفتاح ومن اللا معرفة إلى نور معرفة الله المُشرق في قلوبنا كشمس نولد في سماء جديدّة لتشرق على خليقة الله الجديدة، تقوم دار رسالتنا بالبحث الدؤون عن المصادر المسيحيّة الكلاسيكيّة التي كان لها دور أساسيّ في تغيير الوعيّ المسيحيّ، بل ولها بصمة عظيمة فيما مضى وحتى عصرنا الحالي.

وقع اختيار دار رسالتنا على الكاتب العظيم والفيلسوف المسيحيّ سي إس لويس لأنّه أحد أهمّ الكُتّاب المسيحيّين الذين شاركوا في نمو المعرفة المسيحيّة في الشرق والغرب على السواء، كاتب فيلسوف بصبغة أديب ولمسات روحانيّة مسيحانيّة، هذا هو أقرب وصف لكاتبنا الذي اختارت الدار أن تُقدِّمه منشورًا بالعربيّة بترجمة مُعاصرة جيّدة للقاريء العربيّ.

نتضرع إلى الرب إلهنا أن يكون هذا الكتاب باكورة معرفة أقرب لله لدى عقول القُرَّاء، معرفة لا كمعرفة العقل المُجرّدة، بل تلك التي تدعونا لتغيُّر حياتنا.

مدير دار رسالتنا للنشر

رامز يُسري

مُقدِّمة المترجم

لا أتذكر ملامح تلك الليلة بالتحديد. ربّما بسبب الوضوح الذي غمرني عندما أمسكتُ بالكتاب (كان ذلك كتاب المسيحية المجرّدة " mere Christianity") الذي أعطاه لي أخي، وبدأت أقرأ أولى كلماته، والذي جعلني من شدّة وضوحه وقوّته أرى كلّ ما قرأت وسمعت قبله مُبهمًا وتائهًا.

لم يكن سي إس لويس قط بالنسبة لي أحد الكُتّاب الذين أقرأ مؤلفاتهم، فمنذ الوهلة الأولى كان لي بمثابة الفنار الذي أرشد قارب عقلي الشارد والمشوَّش بملايين الشكوك حول الله وحول كل شيء آمنت به واقتاده إلى قوة الإيمان المسيحيّ. وربّما ما وجدتُ فى كتاباته من حُجَّة قويّة ومنطق صلب غير مسبوقين هما ما دفعاني لترجمة هذا الكتاب كعرفان بالجميل لمن اقتادني للعودة إلى مياه راحتي بكلماته التي تتخلّلك لتصل إلى كلّ مخبأ داخل نفسك، حيث تختبيء أفكار لا تستطيع الإفصاح عنها أو حتّى مواجهتها فتشعر بكلماته تخرج منك كما لو كنت في أحد تلك الأحلام التي يمتلئ صدرك بالصراخ طلبًا للنجدة فيها، ولكن للأسف لا تخرج منك الكلمات.

الطلاق العظيم رواية عبقريّة ستُثري مخيّلتك عن طريق تصويرات الكاتب البارعة بوعي وإدراك لِحِيَلٍ يأسر بها الإنسان نفسه داخل سجن

شرّه وخطيّته كما ستلهمك لأن تعرف أكثر عدوّك وتجد الطرق المناسبة لربح حربك الخاصّة ضده.

المُترجِم

أمجد عنتر

الفصل الأوّل

بَدَا وكأنَّني أقِفُ في طابورِ انتظار حافلةٍ على جانب أحدِ الطرُقاتِ المتواضعة، كان المساءُ بالكاد يقترِب وكان الجو مُمطرًا. لِبِضْع ساعات كنت أتجوَّل في شوارع متواضِعة كهذه، دائمًا تحت المَطَرِ ودائمًا في الغسَقِ.

بدَا وأنَّ الوقت قد توقَّفَ عند تلك اللحظة الكئيبة حين تُضَاء فقط القليل مِنَ المحلات ولم تسدل ستائر الظلام بشكل كافٍ فوق نوافذها حتّى تبدو مُبهِجَة. وإذ لم يَكُنْ المساءُ ليتقدَّمَ أبدًا إلى الليلِ فلَمْ يُجْلِبَنِي سَيْرِي أبدًا إلى مناطقٍ أفضَل مِنَ البلدَةِ.

ذهبْتُ مَا ذَهبْتُ، إلاَّ أنَّني لَمْ أجِدْ إلاَّ سكَنَات حقيرةٍ، محلاَّت سكائِر صغيرة وألواح عَرْضٍ عُلِّقَتْ عليها لافتَات الإعلانات، مَخازِن بلا نوافذ، محطَّات بضائع بلا قطارَات ومكتبَات مِنَ النوع الذي يبيع "أعمَال أرسطو"، لَمْ أقابِل أحدًا! وبالنسبَةِ للجَمْع الصغير في محطة انتظار الحافلة فقد ظَهرَتْ المدينَةُ خاليةً تمامًا، ولهذا السبَب على ما أظنُّ اِلتَحَقْتُ بطابُورِ الانتظار.

وُفِّقْتُ بضربَةِ حظٍّ، فمَا أنْ أخذتُ مكانِي حتّى صاحَتْ امرأةٌ لاذِعَةٌ كانت أمامي بِرَجُلٍ على ما يبدو كان معها: "حسنًا جدًّا لن أذهَبَ إلى هناك على الإطلاقِ"، وغادَرَتْ الطابُور.

"براي، لا تعتقدي"، قالَ الرَجُلُ بِصَوتٍ مُفخَّم: "إنِّي مُهتمٌّ على أيِّ حالٍ بالذهابِ. كنتُ أُحاوِل فقط أنْ أرضيكِ، جَنْحًا للسلام، مشاعري بالتأكيد أمْرٌ بلا أهميَّةٍ لكِ اَفْهَمُ ذلك جيِّدًا". ولتُواكِبَ أفعالُه كلماتَهُ غادَرَ هو أيضًا..

"تعالِ"، هذا ما سَمِعْتُ على ما أظنَّ؛ "تَمَّ رِبْحُ مكانين"!

كنت الآن أقِف بجوار رجُلٍ قصير جدًّا بوجهٍ عابِس والذي كان ينظُر إليَّ بتعبيرٍ يَدُلَّ على ازدراءٍ شديدٍ، وأعطىَ ملاحظةً -بصوتٍ عالٍ بلا داعٍ- إلى الرَجُلِ الذي يليه: "هذا النوع مِنَ الأمور يجعَل المَرْءَ يُفكِّر مرَّتين بشَأنِ الذهاب مِنَ البداية".

"أيُّ نوعٍ مِنَ الأمورِ؟" قال الآخر مُتذمِّرًا، وكان رَجُلًا سمينًا ضخمًا". حسنًا" قالَ الرَجُلُ القَصيرُ؛ "مِثْلُ هذا النوع مِنَ المجتمعات -في حقيقةِ الأمْرِ- هو بالكاد ما أنا مُعتادٌ عليه".

"هه" قالَ الرَجُل الضخم ثمّ أضافَ ناظرًا إليَّ: "إيَّاكَ أنْ تقبَلَ أيَّ وقاحةٍ مِنْهُ سيِّدِي، أنتَ لست بخائفٍ مِنْهُ، أليس كذلك؟" وإذ رأى أنِّي لَمْ أقُمْ بأيِّ حركةٍ، تحوَّلَ فجأةً إلى الرَجُلِ القصير وقال: "لسْنَا جيِّدِين بِمَا يكفِي بالنسبة لكَ، ألسنا كذلك؟ كمَا قُلْتَ بفَمِكَ؟"

وفي اللحظة التالية سدَّدَ إلى الرَجُلِ القصير ضربةً على جانبِ وَجْهِهِ طرَحَتهُ أرضًا إلى البِرْكَةِ[1].

"دَعُوه يستَلْقِي، دَعوُه يستَلْقِي"، قال الرجُلُ الضخم ليس لشخصٍ معيَّن بالتحديد: "أنا كالباقيِّين هذه طبيعَتِي، يَجِب أنْ آخُذَ حقوقِي كأيِّ أحدٍ آخر، أتَرُونَ؟"

وإذْ لَمْ يُظْهِر الرَجُلُ القصير أيَّ تَحرُّكٍ ليلتَحِقَ بالطابورِ ثانية وبدأ يَعرُج مبتعِدًا، اِقتَرَبْتُ -مُحتاطًا بالأحرَى - خَلْف الرَجُل الضَخْم وهنَّأتُ نفسِي على أخْذِ خطوة أخرى للأمام.

بعد بُرهَة غادَر شخصَان صغيران أمامَهُ[2] أيضًا في الطابور، يدًا بيدٍ، كلاهُمَا يرتدِي البِنْطَال، نَحيلان مُراهِقان ومُتكلِّمان في صَخَبٍ حتّى أنَّنِي لم استطِع تمييزَ جِنْس أيٍّ مِنْهُما. ولكن كان واضحًا في اللحظَةِ ذاتها أنَّ كلاهُمَا فَضَّلَ الآخَرَ على نفسِهِ لأخْذِ مكانٍ في الحافلة.

"لن نَقدِرَ أبدًا أنْ نصعَدَ جميعًا"، قال صَوتٌ أنثَويٌّ مَمزوجٌ بأنينٍ على بُعْدِ أربعة أماكن تقريبًا أمامِي.

"أُبَادلُكِ المكانَ مقابل خمسة شلنات؛ سيِّدَتِي". قال آخرٌ.

---

[1] بُقعِة مياه مُتَّسِخَة.

[2] أي أمام الرجل الضخم.

سمِعْتُ خشخشةَ النقود ثمّ صرخةً في صوتِ المرأة اختلطَتْ بعجيجٍ وضحكات بقيَّةِ الجَمْعِ. قَفَزَتْ المرأةُ المخدوعةُ خارِجَ مكانِهَا وطارَتْ إلى الرَجُلِ الذي سلَبَها مالَهَا، ولكن في الحالِ تجمَّعَ الآخرون وقامُوا بإبعادِهَا.

لذَا بطريقَةٍ أو بأخرى قَلَّصَ الطابورُ نفسَهُ إلى مقدارٍ يُمكِن استيعابَهُ قَبْل أنْ تظهَرَ الحافلةُ بوقتٍ طويلٍ.

كانت حافلةً مذهلةً تتلألأ بأنوارٍ ذهبيَّةٍ، مَطليَّة بألوانٍ ساطِعَةٍ. ظَهرَ السائِقُ نفسَهُ مملوءًا بالضُوءِ، بِيَدٍ واحدةٍ كان يَقُود وبالأخرىَ كان يُلوِّح أمامَ وجهِهِ كَمَنْ يُذرِّي قطرات المَطَرِ. انطلَقَ تذمُّر مِن وسَط الطابُور مَا أنْ ظهَرَ في المشهَدِ:

"يبدو وكأنَّهُ قضَى وقتًا ممتعًا في فِعْلِ ذلك، هه؟... لعينٌ مُختَالٌ بذاتِهِ أرُاهِنُ علىٰ هذا.. يا أعزَّائِي، لماذا لا يستطيع أنْ يتصرَّف بطريقةٍ طبيعيَّةٍ؟ يَظُنُّ نفسَهُ أفضل مِنْ أنْ ينظُرَ إلينَا.. مَنْ يَحسِبَ نفسَهُ؟ كلّ هذا الطلاءُ الذهَبِيّ والأرجوان! أنِّي أُسمِّيه إهدارٌ شريرٌ. لِمَا لا يُنفِقُون بعضًا مِنَ المالِ على عِقَارات المنازل هنا؟ يا إلهي أودُّ أنْ أعطيَهُ واحدةً على الأذُنِ"!

لم أرىَ في طَلَّةِ السائِقِ ما يُبرِّرُ كلّ هذا عدا أنَّهُ اِمتلَكَ نظرةَ مَنْ لَهُ سلطة وبَدَا مُصرًّا على القيَامِ بعمَلِهِ.

تشاجَر أقرَانِي الرُكَّاب كالدجَاجِ على الصعودِ للحافلة بالرَغْمِ مِنْ وجُودِ أماكن شاغرة لنا جميعًا، رَكِبْتُ آخِرَ الكُلِّ، كانَت الحافِلَةُ فقط ممتلئةً إلى النِصْفِ واِختَرْتُ مَقعدًا في الخَلْفِ على مسافةٍ كبيرةٍ مِنْ الآخَرين ولكن رَجُلَ ذُو شعرٍ أشعَث في الحالِ جاءَ وجلَسَ بجواري، ومَا أنْ فَعلَ حتّى انطلَقْنَا.

"أظُنَّكَ لن تُمانِعَ اصطحابَكَ!" قال: "إذْ لاحظتُكَ تَشعُر مَا أشعُر حيالَ الرِفْقَةِ الحاليّة. لماذا بِحَقِّ السماء يَصِرُّونَ على المجيء. لا أقدِرُ على التخيُّلِ، لن يرُوقَهُم الأمر على الإطلاقِ حين نَصِلَ إلى هُناك. كانُوا لِيشْعُرُوا براحةٍ أكثر جدًّا إنْ مَكثُوا في منازلِهِم، الأمر مُختَلِفٌ لِي ولكَ".

"هَلْ يرُوقَهُم هذا المكان؟!" قُلْتُ مُتسائِلًا.

أجابَ: "بِقَدْرِ ما يُحِبُّونَ أيَّ شيءٍ آخر، لديهم سينِمَات ومحلاَّت أسماك والرقائق والإعلانات وكلّ الأشياء التي يُريدُونَها. غيابُ الحياةِ العقلانيّة لا يُزعِجَهُم على الإطلاقِ، أدرَكْتُ بمجرَّدِ أنْ وَصَلْت إلى هنا أنَّ ثِمَةَ مُشكلة. كان يُجَدَرُ بِي أنْ استقِلَّ الحافلةَ الأولى ولكنِّي تقاصَعْتُ مُحاولًا إيقاظ البعض هنا. وَجَدْتُ بعض الأشخَاص الذين أعرِفَهُم وحاولتُ تشكيلَ دائرةٍ صغيرةٍ ولكن يبدو وأنَّ جميعَهُم غرَقَ إلى مستوى

المُحيطِين بهِم. حتّى قَبْل أنْ نَصِلَ إلى هُنا سَاورتْنِي بعض الشكُوكِ حيالَ رَجُلٍ مِثْل 'سيريل بليلو'. لطالَمَا اعتقَدْتُ بأنَّهُ استخدَمَ اللغةَ الخاطِئةَ في أعمالِهِ ولكن على الأقلِّ كان رَجُلًا ذكيًّا يستَطيع المرْءُ أنْ يحصِلَ مِنْهُ على بعضِ النَقْدِ الجدير بالسمَاعِ حتّى وإنْ كانَ فاشِلًا على مستوى الإبدَاعِ، أمَّا الآن يبدو وأنَّهُ لم يَعُدْ يَملُك سوى افتخارِهِ بذاتِهِ. آخر مرَّةٍ أردْتُ أنْ أُطلِعَهُ على بعضٍ مِنْ كتابَاتِي.. لكن.. انتظر دقيقةً فقط أودُّ أنْ تُلقِيَ نظرةً عليها".

أدرَكْتُ وقشعريرة تتخلَّل جسدي أنَّ مَا يُخرِجَهُ مِنْ جَيْبِهِ كان رُزمَةَ أوراقٍ مطبوعَةٍ. تَمْتَمْتُ شيئًا بشأنِ عدم إحضاري لِنظَّارَتِي ثمّ هَتَفْتُ: "مَرَحا، لِقَد ارتفَعنا عن الأرضِ".

بالفِعْل على بُعْدِ بضعَةِ مِئَاتٍ مِنَ الأقدام في الأسفَلِ ظهرَتْ نِصْفَ مُحتميَةٍ في المطَرِ والضبابِ أسطُحُ المدينَةِ المُبتلَّةِ منبسِطَةً على مرمَى البصَرِ.

الفصل الثاني

لم أُتْرَكْ طويلًا تحت رحمَةِ الشاعر ذِي الرأسِ الأشعَث إذ قاطَعَ راكِبٌ آخرٌ حديثَنا ولكن قَبْلَ هذا عَرِفْتُ اليسيرَ عن ذلك الرجُل. كان فيما يبدو رَجُلًا وحيدًا قَاسَى سوءَ المُعاملَةِ.

لَمْ يُقدِّرَهُ أبوَاه أبدًا وأيُّ مِنَ المدَارِس الخمسَةِ التي تعلَّم بِهَا، لَمْ يُعطِي موهبَةً كموهبتِهِ أو طبَع كطبْعِهِ أيَّ اكترَاثٍ، وما زَادَ الأمورَ سوءًا أنَّهَ كان تمامًا ذلك الصبيُّ الذي في حالتِهِ يعمَل نِظَامُ الاختباراتِ بالكامل على أعلى قَدْرٍ مِنْ عدَمِ المساواة والسخافَةِ.

حين اِلتحَقَ بالجامعَةِ بَدأ يُدرِكُ أنَّ كلّ تلك المظالم لم تأتْ مصادفةً ولكنَّها كانَتْ النتائِج الحتميَّة لنظامِنا الإقتصاديّ. إنَّ الرأسَ ماليَّة لم تَستعبِدْ العُمَّال فَقطْ، بَلْ أفسَدتْ الذَوقَ والوعيَ العام أيضًا، مِمَّا ترتَّبَ عليه نظامنا التعليميّ وغيابَ "اكتشاف" عبقريّ جديد.

هذا الاكتشَافُ جعَل مِنْهُ اشتراكيًّا، ولكن عندما قامَتْ الحربُ ورأى روسيا حليفًا للحكومات الرأسْماليَّة، وجَدَ نفسَهُ مرَّةً أخرى مُنعَزِلًا، ويتحتَّم عليه أنْ يكونَ مُعترِضًا ضَميريًّا.

المَهانَات التي عاناها في هذه الفترَةُ مِنْ مشوارِهِ جعَلَتْ مِنْهُ - كما اعترَف هو - ساخِطًا. قرَّر أنَّهُ سيستَطيع أنْ يَخدِمَ غَرضَهُ على أفضَلِ وجهٍ بالذهَابِ إلى أمريكا، ولكن أمريكا أيضًا انضمَّتْ إلى الحربِ. أدرَكَ بغتةً عند تلك

اللحظة أنَّ السويد هي موطِنُ الفنِّ الحديثِ الراديكَاليّ، لكن العوائِقَ المختلفة لم تمنحَهُ آيَّةَ تسهيلاتٍ للسفَرِ إلى السويد. كانت هناك مشاكِلُ ماديَّة، كان أبُوه، والذي لم يرتَقِي أبدًا إلى ما أبعَد مِنَ الاعتزازِ بالذَاتِ والعجرفَةِ الأبشَعِ على الإطلاقِ كما في العَصْرِ الفِكتُوريّ، كان يُعطِيه مصروفًا محدودًا سخيفًا. كما واجهَ معاملةً سيئةً أيضًا مِنْ فتاةٍ، اِعتَقَدَ أنَّها بحقٍّ شخصيَّة مُتحضِّرَة وناضِجَة. ومِنْ ثَمَّ، وعلى غيرِ المتوقع، أظهَرَتْ أنَّها كتلةٌ مِنَ العُنصريَّة البرجوَازيَّة والغرائز، غَيُورَة، مُصابَة بِحُبِّ الامتلاكِ. خُصلَةٌ أخرى كرهَهَا بالتحديد، إذ أظهرَتْ في النهايَةِ أنَّهَا كُلِّيًّا غَيْرُ مكترثَةٍ إلاَّ بالمَالِ، كانت هذه القشَّةُ التي قَسمَتْ ظَهْرَ البَعيرِ، فألقَىَ بنفسِهِ أسفَلَ قِطَارٍ.

شَرِعْتُ في الكلامِ ولكنَّهُ لم يُلاحِظ وحتّى بعد ذلك استمرَّ ولم يتوقَّفْ. استمَّرَ سوءُ الحظِّ في مُطاردَتِهِ، أُرسِلَ إلى المدينة الرماديَّة، ولكن بالتأكيدِ عن طريق الخطأ سأجِدُ - كما أكدَّ هو لِي - جَميعَ الراكبين الآخرين مَعي في رحلةِ العودَةِ إلاَّ هو لَنْ يرجَعَ سيبقَى "هُناك"! كان مُتأكِّدًا بأنَّهُ ذاهِبٌ أخيرًا إلى حيث لَنْ تُنتَهَكَ روحُه الناقِدَة الحسَّاسَة مِنْ قِبَلِ المُجتمَعِ البغيض، إلى حيث سيُلاقِي "الاعترافَ" و"التقديرَ".

في تلك الأثناء وإذ لم تَكُنْ نظَّارَتِي بحوزَتِي، قرأ لِي المقطَعَ الذي كان سيريل بليلو حسَّاسًا بشأنِهِ.

في تلك اللحظة عينُها قُوطِعْنَا! راحَتْ إحدى المشاجرات التي كانت تشتَعِل باستمرَارٍ في الحافلة، راحَتْ تغلِي، وفي لَمحِ البصَرِ هَمَّ الجَمْعُ بالفرارِ. أُشهِرَتْ السكاكين، وأُطلِقَتْ أعيرَةُ المُسدَّسَات، ولكن بدَا كلّ شيءٍ بغرابَةٍ غير مُؤذٍ. وبعد أنْ اِنتهَى الشِجَارُ وَجَدْتُ نفسِي غَيْرَ مُصابٍ بأيِّ أذى، لكن في مقعَدٍ مُختَلف ومع رفيقٍ جديدٍ. كان لَهُ طَلَّةُ رجُلٍ ذكيٍّ ذا أنْفٍ بَصَلِيّ الشَكلِ بالأحرىَ، وقُبَّعَة سوداء مستديرة. نَظَرْتُ مِنَ النوافذ وقَدْ أمسيْنَا الآن على ارتفاعٍ عالٍ جدًّا حتّى بدَا كلّ ما بالأسفَلِ بلا ملامح، فقط حقول، أنهار أو جِبَال، فلَمْ أرى. كان انطبَاعِي أنَّ المدينة الرماديّة مازالَتْ تَملأ مَرمىَ البصَرِ بالكامِل.

"يبدو أنَّ شيطانًا حَلَّ بالمدِينَةِ"، قُلْتُ مُتطوِّعًا: "وما لا أقدِرُ على فَهْمِهِ ما رأيتُ مِنْ أجزَائِهَا كانت خالية تمامًا، هل سَبَقَ وأنْ قطنَهَا في الماضي سُكَّانٌ أكثَر؟!"

"على الإطلاقِ"، قالَ جَارِي "المُشكِلَةُ أنَّهُم عدائيُّون جدًا، بِمُجرَّد أنْ يَصِلَ أحدَهُم، يستَقِرَّ في شارعٍ ما ولا تَمضِي أربع وعشرون ساعة حتّى يتشاجَر مع جارِهِ، ولا يكتَمِل أسبوعٌ حتّى يكون قد تشَاجَر لدرجَةٍ مِنَ السُوءِ تجعله يُقرِّر أنْ ينتَقِلَ مِنْ منزلِهِ. في مُعظَمِ الأحيانِ يَجِدَ الشارِعَ المُجاوِر خاليًّا، إذ تشاجَرَ جميعُ الناسِ هُناك وانتقَلُوا، لذَا يستَقِرَّ فيه. وإنْ كانَ بأيِّ نوعٍ مِنَ

أنواعِ المُصادِفَة ذلك الشارع مُمتلئًا، يرحَلُ إلى مكانٍ أبعَد ولكن حتّى إنْ بَقيَّ لَنْ يُحدِثَ ذلك أيَّ فَرْق، فَفِي أقرَب وَقتٍ سيقُومَ بشِجَارٍ آخرٍ وسينتَقِل مُجَدَّدًا، في النهايةِ سيرتَحِل إلى طَرْفِ المدينة ويبني منزلًا جديدًا.

أترَى، الأمر سَهْلٌ هنا، كلّ ما عليك أنْ تُفكِّرَ في منزلٍ حتّى تَجِدَهُ، وهكذا تستَمِرُّ المدينَةُ في النموِّ".

"تارِكَةً المزيدَ والمزيد مِنَ الشوارع الخالية؟"

"هذا صَحيحٌ. والوَقْتُ مختَلِفٌ نوعًا ما هنا. المكان الذي استقلَّيْنَا مِنْهُ الحافلةَ على آلافِ الأميَالِ مِنْ مركَزِ المدينَةِ حيثُ يَصِل جَميعُ القادِمين حديثًا مِنَ الأرضِ، كلّ الذين قابَلتُهُم كانُوا يَسكُنُون بجوارِ محطَّةِ الأتوبيس، لكِن استغرَقَ الأمر قرونًا مِنْ وقتِنَا هذا لِيَصِلُوا إلى هناك خلال تنقُّلاتٍ عديدة".

"وماذا عن الوافِدِين الأوَّلِين، أعنِي أنَّهُ لابُدَّ وأنْ يكونَ هُناك بعضَ الناس الذين وَصَلُوا مِنَ الأرضِ إلى مدينتِكَ مُنذُ وقتٍ طويل؟"

"صحيحٌ، يُوجَد البَعضُ. لقد استمرَّوُا في التَنقُّلِ مرارًا وتكرارًا مُبتَعدِين أكثَر، هُمْ الآن بعيدِين جدًّا حتّى أنَّه مِنَ المُستحِيل أنْ

يُفكِّرُوا في المجيء إلى محطة الأتوبيس على الإطلاقِ، فالمسافات فلَكيَّة.

توجَد قِطعَةٌ مرتفعةٌ مِنَ الأرضِ، وشَخْصٌ يَمتَلِك تيليسكوب. تستَطيعُ أنْ ترىَ أضواءَ المنازلِ المَسكُونَة حيث يَعيِش أولئك الأشخاص القُدَامَى على بُعْدِ ملايين الأميال، ملايين الأميال مِنَّا ومِنْ أحدِهِم الآخَر. يستَمِرُّون في الابتعادِ في كلّ لحظَةٍ، وهذا أحَدُ الأشياء المُحبِطَة. اِعتَقَدْتَ أنَّكَ قَدْ تُقابِلَ شخصيّات تاريخيَّة مُشوِّقَة، ولكن لن تفعَلَ. أنَّهُم بَعيدُون جدًّا".

"هَلْ سَيَصِلُونَ إلى محطَّةِ الأتوبيس في المَوعِد إنْ اِنطلَقُوا على الإطلاقِ؟"

"حسنًا، نظريًّا مُمكِن، ولكنَّها مسافَةٌ بسنينٍ ضوئيَّةٍ، ولن يُرِيدُوا في الوقت الحاليّ، ليس أولئك الرجالُ القُدَامى مِثْل تيمبرلين وجنكيز خان أو يوليوس قيصر أو هنري الخامس".

"لَنْ يُرِيدُوا؟!"

"نَعَمْ، أقرَبُ أولئِكَ القُدَامى هو نابليون. نعلَم أنَّهُ لكي يَقومَ شَخْصَان بالرحلَةِ لرؤيتِهِ، فقد بدئا التَحرُّكَ قَبْل مَجيئِي بوقتٍ طويلٍ بالتأكيدِ، ولكنَّنِي كُنْتُ هُناك عِندَ رجوعِهِم. استغرَق الأمر حوالي خمس عشرة ألْفِ سنَةٍ بحسَبِ وقتِنَا. تَمَكَّنَا مِنْ

رؤيةِ المَنزِلِ الآن فقَطْ. ثُقْبُ إبرَةٍ مِنَ الضُوءِ ولا شيء يُجاوره بِمَلايين الأميال".

"ولكنَّهُم وَصَلُوا إلى هُناك؟"

"أصَبْتَ. لقد بَنىَ لِنَفْسِهِ مَنزلًا بالكامل على الطراز الإمبراطوريّ، صفُوفٌ مِنَ النوافذِ تلتَهِب بالأضواء بالرَغْم مِنْ أنَّها تَظهَر كَثُقْبِ إبرَةٍ حيث كُنتُ أسكُن".

"هَلْ سبَقَ وأنْ رأوا نابليون؟"

"صَحيحٌ، لقد صَعَدُوا وتَطلَّعُوا مِنْ خلال أحَدِ النوافِذ. كان نابليون هناك بالفِعْلِ".

"ماذا كان يفعَل؟"

"يَسيرُ صعودًا وهبوطًا، صعودًا وهبوطًا طوال الوَقْتِ، يمينًا يسارًا، يمينًا يسارًا لا يتوقَّفْ ولو لِلَحظَةٍ. شاهَدَهُ الرجُلاَن لِمُدَّةِ عامٍ، ولم يستَرِح أبدًا مُتَمْتِمًا لذاتِهِ الوقت كُلَّهُ: {كان خَطأُ سولت، كان خطأُ ناي، خطأ جوزفين، خطأ الرُوسيِّين، خطأ الإنجليز}، وأشياءٌ مِنْ هذا القَبيلُ. طيلةُ الوَقْتِ لم يتوقَّفْ ولو للحظَةٍ، كرَجُلٍ سمينٍ صغير. كما بدَا مُتعبًا، ولكنَّهُ بدَا غيرَ قادرٍ على التوقُّفِ".

مِنَ الذبذبَاتِ استجمَعْتُ أنَّ الحافلةَ مازالت تتحرَّك، لكن الآن لم يَكُنْ هناك أيُّ شيءٍ للرؤيَةِ مِنْ خلال نوافذ الحافلَةِ التي أكَّدَتْ ذلك. لا شيء سوىَ فراغ رماديّ مِنْ أسفَلٍ ومِنْ أعلى.

"إذًا ستستَمِرُّ المدينَةُ في التوسُّعِ إلى ما لانهاية؟" تَساءَلْتُ.

"صحيحٌ"، قالَ الرَجُلُ الذكيُّ: "مَا لَمْ يستَطِع أحدُهُم القيامَ بشيءٍ حيال ذلك".

"كيفَ في اعتقادِكَ؟".

"حسنًا، في الحقيقةِ إليكَ هذا السِرُّ في أذُنِكَ. هذا عَمِلي في اللحظة الحاليّة. مَا مُشكِلَةُ هذا المكان؟ ليس أنَّ البشرَ عدَائيُّون؛ هذه طبيعَةُ البَشرِ ولطالما كانوا كذلك حتّى على سطحِ الأرضِ. لَكِن المُشكلَةَ أنَّهُم ليس لَهُم احتياجَات. يُمكِنَك الحصولَ على كلّ ما تُرِيد (ليس بجودةٍ عاليةٍ جدًّا بالطبع) ما أنْ تتخيَّلَهُ فقط. لهذا السبَبُ لا يُكلِّف شيئًا الانتقَالُ إلى شارعٍ آخَرٍ أو بناءَ مَنزلٍ آخر. بكلمَاتٍ أخرى؛ ليس هناك قاعِدَةٌ اقتصاديَّة مُلائِمَة لأيِّ حياةٍ مُجتمعيَّة. إنْ احتَاجُوا مَحلاَّت حقيقيَّةً، فسيَسكُن الرِجَالُ بالقُرْبِ مِنْ أماكن توجد بها المحلاَّت الحَقِيقَةُ. وإنْ احتاجُوا منازلَ حقيقيَّةً، فعليهم أنْ يبقُوا بالقُرْبِ مِنْ البنَّاؤون الحقيقيُّون. الاحتيَاجُ هو ما يُمكِّن المُجتمَعَ مِنَ الوجُودِ.

مِنْ هذا المُنطلَقُ أتيتُ، فأنا لست ذاهبًا إلى هناك للاستجْمَامِ، إذ لهذا الغرض لا أظُنُّ أنَّ المكان هناك في الأعلى سيُنَاسِبُنِي، ولكن إنْ استطَعْتُ العودةَ ببعض السلع، أيِّ شيء يُمكِنَك بالفِعْلِ أنْ تَقضِمَهُ أو تَشربَهُ أو تجلس عليه، لأيِّ سبَبٍ.. إذ بُمجرَّد أنْ يصبَح لكَ احتِياجٌ بالأسفَلِ في مدينتِنَا، سأشرَعُ في تجارةٍ صغيرة، سيكون لديَّ شيئًا لأبيعَهُ، وستَحصُل قريبًا على أناسٍ آتين لِيَعيشُوا قُرْبَ مركز المدينة. شارعان مُمتلئان بالسُكَّانِ سيستوعبان الجَمْعَ الذي الآن على ملايين الأميال المُربَّعَة. مِنَ الشوارع الفارغة سأجنِي بعض المالِ، وسأصبِح فاعِلَ خيرٍ عامٍ أيضًا".

"أتقصِد أنَّهُم إنْ اضطَرُّوا أنْ يَعيشُوا معًا سيتعلَّمُون تدريجيًا أنْ يتشَاجَرُوا أقلَّ؟"

"حسنًا؛ لا أعلَمُ عن هذا. استطيعُ القولَ إنَّهُم قَدْ يَبقُوا أهدأ، ستحظىَ بفُرصَةِ إنشَاء قوَّة شُرطَة، وأُنشيء نوعًا مِنَ الانضبَاطِ بداخلِهِم على أيِّ حالٍ". (هنا أخفَضَ صوتَهُ)؛ "سيكون الحالُ أفضَلَ، فالجَميعُ يُقِرُّ كمَا تعلَم، بأنَّ الأمانَ في الكَثْرَةِ".

"أمَانٌ مِنْ أيِّ شيءٍ؟!"

بدَأتُ الحديثَ ولكن رَفيقِي وَكَزَنِي بمرفقِهِ كَي أصمِت، فغيَّرتُ سؤالِي.

"لكن اُنظُر هُنا"، قُلتُ؛ "إذا كانوا يستَطيعُون أنْ يَحصُلُوا على أيِّ شيءٍ فَقَطْ إنْ تخيَّلُوه، فلأيِّ سببٍ سيُرِيدُونَ أيَّةَ أشياءٍ حقيقيَّةٍ كَمَا تدعُوهَا؟"

"عُذْرًا؛ حسنًا سيرغَبُون في منازل تَحمِي بالفِعْلِ مِنَ الأمطار".

"ألاَ تَقومَ منازِلُهُم الحاليّة بذلك؟"

"بالطَبْعِ لا، كيف لها أنْ تفعَلَ؟!"

"فمَا الفائِدَةُ بِحَقِّ الجحيمِ مِنْ بناءِها إذًا؟!"

قرَّب الرَجُل الذكيُّ رأسَهُ مِنْ رأسِي وقال مُتَمْتِمًا: "الأمْنُ مُجدَّدًا، أو فقط الشعور بالأمْنِ على الأقلِّ، لا بأسَ الآن لكنَّكَ فيما بعد.. ستفهَم".

تلفَّظَ صامتًا كمَنْ يتوقَّع أنَّنِي سأفَهَمُ حركةَ الشفائفِ، فقرَّبْتُ أذُنِي مِنْ فَمِهِ وقُلْتُ: "اِرفَعْ صوتَكَ".

"سيكونُ ظلامًا في الحاضرِ" حرَّكَ فمَهُ بعد ذلك.

"أتعنِي أنَّ المساءَ سيستَحِيل إلى ليلٍ في النهايَةِ؟" فأومَأ بالإيجَابِ.

"وما علاقَةُ هذا (حلولُ الليلِ) بالأمْرِ (بِنَاءُ المنازِل)؟"

"حسَنًا، لا أحدٌ يَحِبُّ أنْ يبقىَ في الخارج عندما يَحِلُّ المساء".

"لماذا؟"

كانَت إجابَتُه هذه المَرَّةُ خفيَّةً للغايَةِ حتّى اضطَّررَت أنْ اسألَهُ عدَّة مراتٍ أنْ يُكرِّرَها. وعندما فعَلَ، وقَدْ أصبَحْتُ مُنزَعِجًا قليلًا (كما ينزَعِجُ المَرْءُ غالبًا مِنَ الهمساتْ)، قُلتُ بدونَ تذكُّرِ أنْ أخفِضَ صوتِي:

"مَنْ يكوُنُون (هُمْ)؟" تساءَلْتُ؛ "ومِمَّا تَخشَى أنْ يفعَلُوه لَكَ؟ وأيُّ حمايَةٍ يُمكِن أنْ توفِّرَها مَنازِلُ وهميَّةٌ إنْ كانَ هناك أيُّ خطرٍ؟ ولماذا سيظهرونَ؟"

"أنتُما"، قالَ الرَجُلُ الضَخْمُ: "مَنَ الذي يقول كلّ هذا الكلامُ؟ كُفَّا عَنْ الهَمْسِ إنْ كُنتُما لا تُرِيدَان الضَرْبَ بالسيَاطِ. أتَدْرِي؟ نَشْرُ الإشاعَاتِ هكذا أدعُوه.. صه، واِخْفِ وجهَكَ "ايكي"، أتفهَم؟"

"صَحيحٌ تمامًا 'سكاندلوس'، يَجِبْ أنْ يُقاضِيَا. كيفَ صعدا إلى هذه الحافِلَةُ؟". قال الرُكَّاب مُتذمِّرِين.

مالَ رجُلٌ سمينٌ ذو لحيةٍ مَحلُوقةٍ بعناية، والذي جلسَ على المِقْعَدِ الذي أمامي. مَالَ إلى الوراءِ وخاطَبَنِي بصوتٍ مُتحضِّرٍ:

"أُعذُرْنِي"، قَال: "لكنِّي لَمْ استطِع عَدمَ الإصغَاءِ لأجزَاءٍ مِنْ حديثِكَ. أمْرٌ مُثيرٌ للدهشَةِ، كيفَ أنَّ هذه الخُرافَات البدائيَّة مازالت حيَّةً إلى الآنِ، لا تؤاخِذُنِي؟ أووه، بَارك الله روحِي، هذا كلّ ما فِي الأمْرِ. مَا مِنْ ثِمَةٍ دليلٍ، ولا أشلاء من دليل، أنَّ

هذا الغَسقُ سيستَحيل أبدًا إلى ليلٍ. حدَثَ تطوُّر في وجهَةِ النظَرِ حيال ذلك داخِل الحلقات المُثقَّفَة. أنِّي مُتفاجِئ أنَّك لم تسمَع بهذا. كلّ التخيُّلات الكابوسيّة التي لآباءِنا يَتِمَّ محوها. ما نراه الآن في نِصْفِ الضُوءِ الرقيق الخافت هذا هُو وَعْدٌ بالفَجْرِ. التَحوُّل البَطِيُء لأُمَّةٍ بأكمَلِها نَحوَ الضياء. بَطِيءٌ وغير مَحسُوسٍ بالطبع وليس خلال النوافذ الشرقيّة فقط، عندما يَحِلَّ ضوءُ النهَارِ سيَحِلَّ بالفِعْلِ الضيَاءُ. والشَغَفُ بالسلَعِ الحقيقيّة الذي تَحدَّثَ عَنْهُ صاحِبُنَا، ما هو إلاَّ {الماديَّة} أتعلَمْ؟ أنَّها ارتداد للوراء، وتقيُّد بالأرض، تَوقٌ إلى المادَةِ، ولكنَّنا ننظُر إلى هذه البلدَةُ الروحيَّةُ - إذ أنَّها ومع كلّ عيوبِهَا تبقَى روحيَّةً - كحضَّانة حيث تبدأ الوظائف المُبدِعَة للإنسان وقد تحرَّرَتْ الآن مِنْ عوائقِ المادَةِ، تبدأ في تَجرُبَةِ جناحيها، أنَّها لفكرةٍ ساميَة".

بِضَع ساعاتٍ لاحقًا حَدثَ تَغيُّر، بدأ الضوءُ يتخلَّل وينمُو في الحافلَةِ. تحوَّلَتْ الرماديَّةُ خارِجَ النوافذ مِنْ لون الطِين إلى أم اللؤلؤ، ثمّ إلى أبهَتِ درجَةٍ مِنَ الأزرق، ثمّ إلى زُرقَةٍ ساطِعَةٍ لسعَتْ العيونَ. بدَا وكأنَّنَا نَسبَح في فضَاءٍ تامٍ. لا أرض، لا شَمْس ولا نجوم في مرمى البَصَرِ. فقط الخواءُ المُضِيء. فتَحْتُ النافذَةَ بجانبي وفي لحظةٍ اجتَازَتْ إلينا انتعاشَةٌ لذيذَةٌ ثُمَّ..

"ماذا نفعَل بِحَقِّ الجحيم؟" صرخَ الرَجُلُ الذكيُّ واجتازَنِي بإنْحِنَاءةٍ قويَّةٍ مُغلِقًا النافذة بشدَّةٍ؛ "أتُريدَنَا أنْ نَلقَى حتْفَنا جميعًا مِنَ البَرْدِ؟"

"اعْطِهِ لكمَةً" قالَ الرَجُلُ السَمِين.

جولْتُ بنظري في أنْحَاءِ الحافلةِ، وبالرغم مِنْ أنَّ النوافِذَ كانَت مُغلَقةً، ثمّ أيضًا مُغطَّاة بالستائر، فقد كانت الحافِلَةُ مليئةً بالنُورِ، وكانَ نُورٌ قاس.

انكَمَشْتُ مِنَ الوجُوهِ والأشكال المحيطة بِي، كانت كُلُّها وجوهٌ مُتصلِّبَة مَليئة لا بالإحتمالات بل بالاستحَالات، بعضَهُ هزِيل والآخر مُختَال، البَعضُ يلمَع بوحشيَّةٍ بلهَاء والآخَرُ غَرقَ بلا رجعَةٍ في الأحلامِ ولكن جميعها بحالٍ أو بآخرٍ مُشوَّهةً وخافِتَة. انتَابَ المَرْءُ شعورًا أنَّها قد تتساقَط أجزاءًا في أيِّ لحظَةٍ إنْ نَمَا الضُوءُ أقوىَ مِنْ ذلك. وبعدها كانت هناك مِرآةٌ في آخرِ الحافلَةِ، فنَظَرْتُ نفسِي بِهَا.. ومازَال الضُوءُ ينمُو..

الفصل الثالث

جَرْفٌ لاحَ في الأفُقِ أمامَنا. غاصَ عموديًّا تحتَنا إلى عُمْقٍ بعيدٍ جدًّا، حتّى لم استطِعْ أنْ أرىَ قاعَهُ، وكان مُظلِمًا ومستويًّا. أمْضَينَا الوقتَ كُلَّه صعودًا، وفي النهايَةِ قِمَّةُ الجَرْفِ ظَهرَتْ كخَيْطٍ رفيعٍ زُمرُّدِي مَفرُود بشدَّةٍ كوتَرِ الكمَان. انْزَلقْنَا في الوقت الحاضر على تلك القمَّة، كُنَّا نَطيرِ فوقَ مدينَةٍ عُشْبيَّة مُستوية يَمُرُّ بِهَا نَهْرٌ واسِع، كُنَّا نفقِد ارتفاعَنا في هذه اللحظَةُ، ابتعَدَتْ بعضُ قِمَمِ الأشجَارِ - الأطوَلُ في المدينَةِ - فقط عشرين قدَمًا في الأسفَلِ، وبعد ذلك وبصورةٍ مُفاجِئَةٍ استقرَّتْ بِنَا الحافِلَةُ. قَفزَ الجَميعُ مِنْ مقاعدِهم. شَتائِم، تهكُّمات، لكَمات، وذَمٌّ قَذِرٌ أتَتْ جميعُها إلى أذُنِي إذ كافحَ أقراني الرُكَّاب للخُرُوجِ مِنَ الحافلَةِ؛ ومَا هي إلاَّ بُرهَةٍ حتّى نَجح الجَميعُ في الخرُوجِ. بَقَيْتُ وحدِي في الحافلة ومِنْ خلال الباب المفتوح أتىَ إليَّ وَسطِ السكُونِ المُنعِش غِنَاءُ كروانٍ.

خَرَجْتُ إلى الخارجِ، كان النورُ والبرُودة اللذان تَخضلتُ بهِمَا يُشبِهَان نُورَ وبرودةَ صبَاحِ الصَيْفِ، الصَباحُ الباكِر بدقيقَةٍ أو إثنين قَبْل شروق الشمس.

فقط ذلك الفَرْقُ المُحدَّد. إنِّي شَعَرْتُ أنَّنِي في مكانٍ أكبَر، ربَّما حتّى في أكبَرِ مكان عرفتَهُ على الإطلاق كما لو كانَتْ السمَاءُ أبعدَ، وامتدَادُ الأرضِ الخضراء أوسعَ مِمَّا يُمكِن أنْ يكُونَا على كُرَةِ الأرض الصغيرة هذه. خَرَجْتُ

إلى "الخارج" بطريقَةٍ ما جَعلتْ النظَامَ الشَمْسِيّ ذاتَهُ يبدو كشيءٍ داخِلَ الحافلَةِ، مَنَحَنِي ذلك شعُورًا بالحريَّةِ لكن أيضًا بالتعرُّضِ ربَّما للخَطرِ، والذي رافَقْنِي في كلّ ما تبَعَ بعد ذلك.

إنَّها استحَالةُ رَبْطِ هذا الشعور أو حتّى حَثِّكَ أنْ تتذكَّرَهُ (في خبراتِكَ) فيما أواصِلُ حديثي، هي ما تجعلنِي يائِسًا مِنْ نَقْلِ الطبيعة الحقيقة لِمَا رأيتُ وسَمعتُ.

في البدايَةِ بالتأكيدِ أُسِرَ انتباهِي بأقرَانِي الرُكَّاب، والذين ظَلُّوا مُتجمِّعِين معًا في جوارِ الحافلة بالرغمِ مِنْ شرُوعِ البَعضِ مِنْهُم في السَيْرِ إلى الأمام داخِلَ المكان بخطواتٍ مُتردِّدَة.

شَهَقْتُ مُنبهِرًا عندما رأيتَهُم والآن وقَدْ أصبَحُوا في الضُوءِ، كانُوا شفَّافِين بالكامِل، شفَّافِين عندما وقَفُوا بينِي وبين المكان الذي وَصَلْنَا إليه مُشوَّشِين وليسوا تمامًا مُعتَمِين إذا وَقَفُوا في ظلال بَعض الأشجارِ. كانوا في الواقع أشباحَ صبغَاتٍ لها شَكْل البَشرِ، في ظلِّ سطُوع ذلك الهواء يستطيع المَرْءُ أنْ ينتَبِهَ إليهِم أو يُهمِلَهُم كما تفعَل الأوساخ على نافذةٍ زجاجيَّةٍ، ولاحظتُ أنَّ العُشْبَ لم ينحَنِي تحت أرجُلِهِم، كَما لم تتبعثَرْ قطراتُ الندىَ. بعدها حدثَ تَعديلٌ في تفكيري أو حدثَ بعضُ التركيزِ مِنْ عَينيَّ. ورأيتُ تلك الظاهِرَةُ مِنَ الوَجهِ المُقابِل تمامًا، كان الرِجَالُ تمامًا كَما كانوا طِيلةَ حياتِهِم، ربَّما كحَالِ كلّ الرجال الذين عرفتَهُم دائمًا، وأمَّا ما اختلف فقد

كان النورُ، العُشْبُ، الأشجَارُ، مَصنُوعِين مِنْ مادَةٍ مُختلفَةٍ أكثر صلابَةٍ بكثيرٍ مِنَ الأشياء التي في مَدينَتِنَا حيثُ بدَا الرِجَالُ أشباحًا بالمقارنَةِ بِهِم.

مُنقَادٌ بفكرةٍ مُفاجِئَة انْحَنَيْتُ إلى أسفَلِ محاولًا أنْ أقطِفَ إقحوانةً وقفَتْ عند قدَميَّ، ساقُها لا تنكَسِر حاوَلْتُ أنْ ألويَهَا ولكنَّها لا تُلوَى، ظلَّيْتُ أسحبَهَا حتّى تصبَّبَ العَرْقُ على جَبِينِي وفَقَدْتُ مُعظمَ جِلْد يَديَّ. كانَتْ الزهرةُ الصغيرة صلبةً لا كالخشَبِ أو الحديد بَلْ كالماسِ! كانت هناك ورقَةٌ، ورقةٌ شابةٌ لينةٌ مِنْ شجرةِ زَانٍ مُلقَاة على العُشْبِ بجانب الزهرَةِ، حاوَلْتُ أنْ ألتقِطَهَا، كادَ أنْ يتشقَّقَ قلبِي مِنَ العناءِ وأعتَقِدَ أنَّنِي رَفَعْتَها فقط مِنْ مكانِهَا ولكنِّي اضطَّريتُ أنْ أترُكَها في الحالِ. كانَتْ أثقلَ مِنْ حقيبَةٍ مَليئَةٍ بالفَحْمِ. وبينما أقِفَ واستجمَع أنفاسِي بتلهُّثَاتٍ كبيرة وأنظُر إلى أسفلٍ إلى الأقحوانةِ، لاحَظْتُ أنَّهُ بإمكَانِي رؤية العُشْب ليس فَقط مِنْ بين أقدَامِي ولكن مِنْ خلالها أيضًا، كُنتُ أنا أيضًا شَبَحٌ، مَنْ يُعيرَنِي الكلمات حتّى أصِفَ رُعْبَ ذلك الاكتشافُ؟!

"يا إلهي"، هكذا دار في خُلدي: "هذه المرَّةُ لا مَفرَّ مِنَ الوجُودِ هُنا. إنِّي لهَا؟"

"لا يَرُوقَنِي هذا، لا يرُوقَنِي هذا"، صرخَ صوتٌ: "هذا يُغضِبَنِي". ثمّ وثَبَ أحدُ الأشبَاحِ مُتجَاوِزًا إيَّاي راجِعًا إلى داخلِ الحافلَةِ، وعلى حدِّ عِلْمِي لم تَخرُج مِنْها أبدًا بعد ذلك. وظَلَّ البَاقُون مُتشكِّكِين في أمْرِهِم.

"مرحَبًا أيُّها السيِّدُ"، قالَ الرَجُلُ الضَخْمِ مُخاطِبًا السائِق: "متى سنعود مِنْ هُنا؟"

"ليس عليك أبدًا أنْ تَرجِعَ، إلاَّ إذا أرَدْتَ"، أجابَ السائِقُ: "أُمكُثْ بقدَرِ ما تَحِبَّ".

وصارَ سكوتٌ أخرَق.

"ببساطَةٍ؛ هذا الأمر سخيفٌ"، قالَ صوتُ أحد في أذُنِي، وسارَ واحِدٌ مِنَ الأشباحِ الأهدأ والأكثَر وقَارًا بجانبِي: "ثِمَةُ سوءِ إدارَةٍ هُنَا بالتأكيد". ثمّ أضافَ: "ما المغزَى مِنَ السماحِ لكُلِّ أولئك الرِعَاع بالتواجُدِ هُنَا؟ أُنظُر إليهم أنَّهُم لا يستَمتِعُون بالأمْرِ، لكَانُوا أكثرَ سعادَةٍ بكثيرٍ إنْ تواجَدُوا بمنازلِهم، أنَّهُم لا يعلَمُون حتّى ما يفعَلُونَ".

قُلتُ: "لا أعلَم أنا نفسِي جيِّدًا ما يَجِب فِعْلَهُ، مَا على المَرْءِ فِعْلِهِ؟!"

"آه، بالنسبَةِ لِي؟ سأُقَابَل خلال دقيقَةٍ أو إثنتين، وجودي متوقَّع، وهذا لا يُزعِجَنِي ولكنَّه غَيرَ سارٍّ بالحَريِّ في أوَّلِ يومٍ أنْ يَجِدَ المَرْءُ المكانَ بأكمَلِهِ مُزدَحِمًا بهولاء المُتنزِهين - اللعنة - الهدَفُ الأساسِي مِنْ مَجيء المَرْء إلى هُنا كانَ تَجنُّبُهُم".

انْحرفَ بعيدًا عنِّي، فبدَأتُ استطَلاعَ المكانِ وعلى الرَغْمِ مِنْ إشارَتِهِ "الإزدحام"، كانت العُزلَةُ شاسعةً حتّى أنَّنِي بالكادِ استطَعْتُ أنْ أُلاحِظَ

جَمْعَ الناس الذي كان أمامي، أُبتِلُعُوا تقريبًا بواسِطَةِ الخُضْرَةِ والنُور، ولكن مِنْ بعيدٍ جدًّا استطَعْتُ أنْ أرىَ ما قَدْ يكون، إمَّا ضفَّة مِنَ السُحبِ أو سلسلة مِنَ الجبَال.

بعضُ الأحيَانِ استطعْتُ أنْ أُميِّزَ غاباتٍ مُنحدرة داخلَها (السُحُب أو الجبال في الأُفق) وأودية تنسَحِب للوراءِ لمسافَةٍ بعيدَةٍ، وحتّى مُدُنٍ جبليَّةٍ قامَتْ على قمَمٍ لا يُمكِن الوصولَ إليها. وأحيانٌ أخرى ظهَرَتْ مُبهَمةَ الملامحِ. كان الارتفَاعُ شاهِقًا جدًّا حتّى لم يستَطِعْ بَصَرِي اليَقِظ أنْ يستَوعِبَ ذلكَ الشيء. انبسَطَ الضُوءُ مُغطيًا أعلاها، مُنحَدرًا إلى أسفلِ، مما أدَّىَ إلى تكوُّنِ ظلالٍ طويلةٍ لِكُلِّ شجرةٍ على البُسَاطِ.

لساعاتٍ، لَمْ يَكُنْ هناك أيُّ تغيُّرٍ أو تَقدُّمٍ، الوَعْدُ أو التَهديدُ بسطوع الشمس بقيَّ خامِدًا هناك في الأعلى.

بعد وَقْتٍ طويلٍ رأيتُ أُناسًا آتِينَ لُمقابلَتِنَا، وإذ كانُوا ساطعين جدًّا تمكَّنْتُ مِنْ رؤيتِهِم وهُمْ مازالُوا بعيدِين. وفي البدايَةِ لم أعرِفْ أنَّهُم كانوا أشخاصًا على الإطلاق، مِيْلٌ بعد ميلٍ مِنْ اقترابِهِم، اهتزَّت الأرضُ مِنْ وَقْعِ أقدَامِهِم حيث غاصَتْ أرجُلُهم القويَّة في المضمارِ المُبتلِّ، ارتفَع ضبَابٌ ضئيلٌ ورائِحَةٌ لطيفة حيث سحقَتْ أرجُلُهم العُشْبَ ونثَرُوا قَطرات الندى. بَعضَهُم عُراةٌ والبَعضُ الآخَر مُكتَسِين بردَاءٍ ولكن العُراةَ لم يَظهَرُوا أقَلَّ تَزيُّنٍ، كما لَمْ تُخْفِ الردَاءَات بِمَنْ ارتدَاهَا عظمَةَ عضلاتِهِم الهائلة ونعومة

جسَدِهِم المُتألِقَة، بعضَهُم حَظِيَّ بلحيَةٍ ولكن أيًّا مِنْ تلك الصُحبَةُ فاجئَنِي بِعُمْرٍ مُعيَّن، يَحظَى المَرْءُ بلمحَاتٍ، حتّى في مدينتنا، لذلك الشيءُ الذي هو الذِهْنُ المُثقَّل الطاعن في العمر في وجه طفْلٍ، وتلك الطفولة المَرِحَة في وَجْهِ شَيخٍ مُسِنٍّ.

هُنا كان الكُلُّ كذلك. اقترَبُوا بثبَاتٍ، لم يرُوقَنِي الأمر برُّمَتِهِ.

صرخَ إثنين مِنَ الأشبَاحِ، وهرَعَا إلى الحافلَةِ بينما احتشَدَ الباقِي مِنَّا بالقُرْبِ مِنْ بعضِنَا البعض.

الفصل الرابع

باقترابِ الأشخَاصِ الأصلابِ، لاحظْتُ أنَّهُم كانوا يتحرَّكُون بنظامٍ وتصميم كما لو كان كلّ مِنْهُم علَّمَ رَجُلَهُ مِنْ بين مجموعتنا الظِلِّية.

"سيُؤثِّرُونَ في مجرىَ الأحداث"، قُلْتُ لِنَفْسِي: "ربَّما ليس مِنَ الجيِّدِ أنْ ننظُرَ إليهِم". بهذا ترجَّلْتُ مُبتَعِدًا بِحُجَّةٍ غامِضَة كانت القِيامَ بقليلٍ مِنَ الاستكشَافِ.

على يَمينِي بدَا لي بُستان مِنْ أشجَارِ الأرْزِ جذَّابًا فدخلتَهُ، تأكَّدَ أنَّ السَيْرَ صعبًا. جعلَنِي العُشْبُ - "كانَ صلبًا كالمَاسِ لأقدَامِي الوهميَّةِ" - أشعُرَ كمَا لو كُنْتُ أسيرِ على صَخْرٍ مُتجعدٍ وعانَيْتُ آلامًا كتلك التي عَانتْهَا عروسُ البَحْرِ في "هانز أندرسون".

مرَّ مِنْ أمَامِي طائِرٌ جعلَنِي أحسِدَهُ، كان ينتَمِي لهذه المدينَةُ وكانَ حقيقيًّا تمامًا كالعُشْبِ، كان بِمَقدورِهِ أنْ يثنِيَ سيقانَ العُشْبِ ويُنثِر قطراتِ الندىَ على جسَدِهِ.

وفي الحالِ تقريبًا لُحِقْتُ بِمَا أسميتُهُ الرَجُلَ الضَخْم، كَي أكونَ أدقَّ في حديثِي، الشَبَح الضَخْم والذي بِدَورِهِ لُحِقَ بواحدٍ مِنَ الناس الساطعين "ألاَ تعرفَنِي؟" هكذا صَرَخَ الشبَحِ، ووَجدْتُ أنَّهُ مِنَ المُستحيلِ ألاَّ استديرِ وألقِي بإهتمَامِي. جعَلنِي وَجْهُ الرَجُلِ الصَلْبِ - وكان واحدًا مِنْ أولئك

مُلتَحِفِي الردَاءَات - جعلَنِي أريدَ الرَقْصَ. كان مَرِحًا جدًّا مُتأصِّل بنضَارَتِهِ.

"حسنًا، أنِّي لَملعُون" قال الشَبَحُ: "لم أكُنْ لأصدِّقَ، أنَّها ضربَةٌ قاضِيَةٌ عادِلَة، ليس صحيحٌ (لِيْن) أنتَ تعلَم ذلِك، ماذا عن (جاك) المسكين، هه؟ تبدو مسرورًا جدًّا بذاتِكَ، ولكن ما أقولَهُ هو ماذا عن جاك المسكين؟"

"إنَّهُ هُنَا"، قالَ الآخَرُ: "ستُقابِلَهُ عمَّا قريب إذا بَقَيْتَ".

"ولكنَّكَ قتلتَه".

"بالتأكيد فَعَلْتُ، ولكن كلّ شيء على ما يُرام الآن".

"الكُلُّ على ما يُرَام حقًّا؟ على ما يُرام بالنسبَةِ لكَ تَقصِد ذلك، ولكن ماذا عن الرَجُلِ المَسكِين، مُستلقيًا هكذا باردًا وميتًا؟"

"ولكنَّهُ ليس كذلك، قُلتُ لَكَ، ستُقابِلَهُ عمَّا قريب وهو يُرسِل لكَ محبَّته".

"ما أوَدَّ أن أفهِمَهُ"، قالَ الشبَحُ: "هو لأيِّ شيءٍ أنتَ هُنا، سعيدًا كـ- "بانش"، أنتَ أيُّها القاتِلُ اللعِين بينَما كنتُ أنا أجُوب الشوارعَ هناك بالأسفل وأحيا في مكانٍ أشبَه بحظيرَةِ الخنازير كلّ تلك السنين".

"إنَّ هذا لَعَسِرٌ قليلًا على الفَهْمِ في بادئ الأمْرِ، ولكن الكُلَّ قد انقضى الآن وسَتُسَرُّ بالأمْرِ في القريب العاجل وحتّى ذلك الحين لا حاجة لأنْ تقلِقَ حيالَ هذا الأمْرُ".

"لا حاجَةٌ للقَلقِ حيال الأمْرِ؟ ألاَ تَخجِل مِنْ نفسِكَ".

"لا، ليسَ بالمعنى الذي تقصِدَهُ. فأنا لا أنظُر إلى ذَاتِي، لقد سَلَّمْتُ ذاتِي. لقد اضطررَتُ أنْ افعلَ ذلك أتعلَمْ؟ بعد جريمة القَتْلِ، هذا ما فعلته بِي وهكذا بدأ كلّ شيءٍ".

"شخصيًّا" قالَ الشبَحُ الضَخْم بتأكيدٍ تناقُض مع المعنى المعتاد للكلمة: "شخصيًّا، ما فكَّرْتُ فِيكَ وفي نَفسِي إلاَّ وحتمًا وجدتْنَا مُختلفِين تمامًا، هذا رأيي الشخصيّ".

"مِنَ المُحتمَل جدًّا أنْ نكونَ كذلك عمَّا قرِيب"، قالَ الآخَرُ: "إذا كُنتَ ستتوقَّف عن التفكيرِ بالأمْرِ".

"أُنظُر إليَّ، الآن"، قالَ الشبَحُ صافِعًا صدرَهُ (ولكن الصفعَةَ لَمْ تُحدِثْ أيَّ ضجَّةٍ): "عِشْتُ مُستقيمًا طيلةَ حياتي، لست أقولُ بأنِّي كُنتُ رَجُلًا مُتديِّنًا، ولستُ أقولَ أنَّنِي لَمْ أقتَرِفْ أخطاءً، فأنا بَعيدٌ عن كلّ هذا ولكنِّي فَعلتُ أفضلَ ما بوسعِي طيلة حياتِي، أترىَ؟ قدَّمْتُ أفضَلَ ما عندي للجميع، كُنتُ هذا النوعُ مِنَ الرجَالِ. لم أطلُبْ قط ما ليس مِنْ حقِّي. إنْ أردْتُ مشرُوبًا،

دَفَعْتُ حسابَهُ، وإنْ تحصَّلْتُ على راتبِي فَعَلْتُ واجبِي، أترى؟ كُنتُ هذا النوع مِنَ الرجَالِ ولست أكتَرِث بِمَنْ يعرِفَ هذا".

"سيكونُ مِنَ الأفضَلِ كثيرًا ألاَ استرسِل في ذلك الحديثُ الآن".

"مَنْ الذي يسترسِل؟ لستُ أجادِل إنَّما فقط أخبِرُكَ أيَّ نَوعٍ مِنَ الرجال كُنتُ، لستُ أطالِب بشيءٍ إلاَّ حقوقِيَّ. قد تَعتِقد إنَّهُ بإمكانِكَ إذلالِي لأنَّكَ تلبِس هكذا - إذ لم تَكُنْ كذلك أثناء حَمْلِكَ تحت يديَّ - وأنا رَجُلٌ مِسكين ولكن عليَّ أنْ آخُذَ حقوقِي مِثلَكَ تمامًا، أتفهم؟"

"أووه، لا، الأمر ليس بذلك السوء، أنا لم آخُذ حقوقِي أو بالأحرى لا يَجدُر بِي أنْ أكونَ هُنا ولن تَحصِل على حقوقِكَ أيضًا، ستحصِل على شيء أفضَلٍ بكثيرٍ، لا تقلق".

"هذا تمامًا ما أقوله، لم أحصِل على حقوقي، لطالما فَعلتُ أفضَل ما لديَّ ولَمْ أفعَل قَطْ شيئًا خاطئًا وما لا أفهَمُه هو لماذا عليَّ أنْ أُوضَع تَحت يَديِّ قاتل لعين مِثْلك".

"مَنْ يَعرِف إنْ كُنتَ سَتُوضَع كذلك؟ فقط كُنْ سعيدًا وتعال مَعِي".

"ما الذي تستمر في المجادَلَة بشأنِهِ؟ فقط أخبِرُكَ بأيِّ نوعٍ مِنَ الرجال كُنتُ، أنا فقط أريد حقوقي، لست اسأل إحسانًا لعينًا مِنْ أيِّ أحدٍ".

"إذًا فافْعَل ذلك في الحال، أُطلُبْ الإحسانَ اللعين، كلّ شيء هنا يُطلَب ولا شيء يُشتَرَى".

"قَدْ يكون ذلك حسنًا جدًّا بالنسبةِ لكَ اِحسِب هذا، إنْ اختارُوا أنْ يسمَحُوا بالدخول لقاتلٍ لعين فقط لأَنَّهُ تضرَّع مُتمسكِنًا في اللحظة الأخيرة فهذه مُشكلَتهُم ولكنِّي لا أرى نفسي على نَفْسِ القارب معك، أترىَ؟ لماذا أفعل هذا؟! لا أريدُ إحسانًا. أنا رَجُل شريف وإنْ حَصِلْتُ على حقوقي لَكُنتُ هنا منذ فترة بعيدة ويُمكِنَكَ إخبارَهُم بأنِّي قُلتُ هذا".

هزَّ الآخرُ رأسَهُ: "يستحيل أنْ تفعَل ذلك بهذه الطريقة"، قال: "لن تَقسىَ قدميك أبدًا لتمشي على عشبِنَا بهذه الطريقة. ستخُور قبل أنْ نَصِلَ إلى الجبال وذلك ليس تمامًا صحيحًا".

وتراقَصَ المرح في عينيه إذ قال هذا.

"أيُّ شيءٍ ليس صحيحًا تمامًا؟" تسائَل الشَبحُ مُتجهِّمًا.

"لم تَكُن رَجُلًا شريفًا ولم تفعَل أفضلَ ما لديك، أيّ مِنَّا لم يَكُنْ وأيٍّ مِنَّا لم يفعَل. باركَكَ الله، لا يَهِم، لا حاجَة للخَوضِ في ذلك على الإطلاق الآن".

" أنتَ!" شَهقَ الشَبحُ: "أَلَكَ الوجْهُ أنْ تقولَ لِي بأنِّي لم أكُنْ رَجُلًا شريفًا؟"

"بالتأكيد، أعليَّ الخوضَ في ذلك؟ سأخبِرُكَ شيئًا واحدًا للبَدْءِ بهِ. قَتْلُ جاك العجوز لم يَكُن اسوأ شيء فَعلتَهُ كان هذا تصرُّف لحظة وكُنتُ نِصْف مجنون عندما فعلتُ ذلك ولكنِّي قتلتَكَ كلّ يومٍ في قلبِي، مُتعمِّدًا، لسنوات اِعتَدْتُ أنْ استلقِيَ مستيقظًا في الليل مُتفكرًا ماذا سأفعلُ بِكَ إنْ فقط سُنِحَتْ لِي الفرصة، لهذا أُرسِلتُ لكَ الآن، لأطلُبَ صَفْحَكَ ولأكون خادِمَكَ ما دُمتَ مُحتاجًا لواحدٍ بَلْ لأبعَد أيضًا إنْ أَسرَّكَ ذلك. كنت الأسوأ ولكن كلّ مَنْ عمَلَ عندك شَعرَ بالمِثْلِ تمامًا، جَعلتَ الأمر شاقًا علينا، أتعلَم؟ كما جعلتَهُ شاقًا على زوجتِكَ وأطفالِك أيضًا".

"اِهتمَّ بِمَا يَخُصُّكَ، أيُّها الشاب " قالَ الشَبحُ " صِهْ، هل تفهَم؟ لأنِّي لن أقبل أيَّ وقاحةٍ مِنْكَ حيَالَ شئونِي الخاصة".

"ما مِنْ شئونٍ خاصة " قالَ الآخرُ.

"سأُخبِرُكَ شيئًا آخر " قَال الشبح " يُمكِنُكَ الرحيلَ، أتفهَم؟ لست مرغوبًا فيكَ قَدْ أكونَ رَجُلًا فقيرًا فقط ولكنِّي لستُ بصانِع صداقةٍ مع قاتلٍ ومترُوك كي آخُذَ دروسًا مِنْهُ. جَعَلْتُ الأمر شاقًا عليك وعلى أمثالِكَ، أفَعْلتُ ذلك؟ إنْ عادَ بِكَ الزمنُ تَحت يَديِّ لأريتُكَ ماذا يَكون الشغلُ؟".

"تَعال وأرنِي الآن " قال الآخر وفي صوتِهِ ضحكة " سيكُون مِنَ السار الذهاب إلى الجبال ولكن سيكون الكثير مِنَ الشُغْلِ".

"أنتَ لا تعتقد بأنِّي سأذهبُ مَعكَ؟!".

"لا تَرفُض؛ لن تَصِلَ إلى هناك أبدًا بمفردِكَ، وأنا الشخصُ الذي أُرسِل إليكَ".

"إذًا هذه هي الخُدعَةُ، أليس كذلك؟"

صرخ الشَبحُ مُطلِقًا مرارةً وإلى الآن حَسِبْت في صوتِهِ نوعًا مِنْ إنتصارٍ، لقد تُوسُّلَ إليه، في مَقدُورِهِ الرفض، وبدَا هذا نوعًا مِنْ أفضليَّةٍ:

"حَسِبْتُ أنْ يكونَ هناك هراءٌ لعين، ما هي إلاَّ عُصبَة، عُصبَةٌ لعينة بالكامِل، أخبِرَهُم بأنِّي لست بآتٍ، أتفَهَم؟ أُفضِّلُ أنْ أُلعَنَ عن أنْ آتِيَ مَعكَ. أتيتُ هُنا لأحصُلَ على حقوقي، أتفهَم؟. لا، لأنْ أذهبَ مُعوِّلًا على إحسانٍ مُلصَق على خيوط مَريَلتِكَ. إنْ كانوا أرقَّ مِنْ أنْ يأخُذوني بدونِكَ سأذهَب إلى المنزل". كان على

الأغلب سعيدًا الآن إذ استطَاع بِمعنَى مَا أنْ يُهدِّدَ: "هذا ما سَأفعلَهُ"، كرَّرَ: "سأعودُ إلى المنزل، لم آتِ إلى هنا لأُعامَلَ مِثْلَ كَلْبٍ. سأعودُ إلى المنزل هذا ما سأفعلَهُ. اللعنَةُ والهلاك على عِصَابتِكَ كُلِّها. "..

وفي النهاية ولايزال مُتذمِّرًا ولكن ناشجًا قليلًا أيضًا بينما اتَّخَذَ طريقَهُ فوق العشب الحاد، رحَل سريعًا.

الفصل الخامس

سادَ الصَمْتُ للحظةٍ تَحت أشجارِ الأرزِ ثمّ انقطَع بِفِعْل طَبطبة الأقدام. تقدَّم أسَدَين بأقدامٍ مَخمليَّة يتواثبان في الفضاء المفتوح، تَثبَّتَتْ عيناهُما الواحد على الآخر وطفقَا يصنعَان بعض الهرجِ المُهيب. بدَا عُرفيهُمَا كما لو غطسا في نهرٍ، سَمِعْتُ صوتَهُ في متناول اليد مع أنَّ الأشجَارَ أخفَتَهُ. غَيرُ مُعجَبٍ جدًّا برفقَتِي، ابتعَدْتُ كي أجد النهر وبعد إجتياز بضع شجيرات سميكة مُزهِرَة، نَجَحْتُ، اِمتدَّ الشجيرات إلى أسفل حتّى الحافة تقريبًا. كان (النَهرُ) عَذْبًا كتيمز[٣] ولكنَّهُ مُتدفِّق بسرعة كما مِنْ أعلى جبلٍ أخضَر باهتٍ حيث أشرفَتْ الأشجار ولكن صافيًا جدًّا حتّى تمكَّنْتُ مِنْ عَدِّ الحصوات في القاع.

قريبًا إلى جانبي رأيتُ آخرًا مِنَ الساطعين في مناقشةٍ مع شبحٍ، كان ذلك الشبح الثمين ذا الصوت المُتحضِّر والذي حدَّثَنِي في الحافلة وبدا مرتديًا واقيًا للقدمِ.

"ولدِي العزيز، سعيدٌ برؤيتِكَ " كان يُحدِّث الروح والذي كان عاريًا وأبيضًا بياضًا ناصعًا " كنت أتحدَّث إلى أبيكَ يزمًا مِنَ الأيَّامِ واتساءَل أين تكون؟"

"ألَمْ تأتِ بهِ؟" قال الآخر.

---

[٣] Thames نهر في جنوب إنجلترا.

"حسنًا؛ لا، فهو يسكُن بعيدًا عن موقِف انتظار الحافلة. ولأكُونَ صريحًا فقد باتَ غريبًا بعض الشيء مؤخرًا، صعبًا قليلًا، فاقِدَ السيطرة، قط لم يَحدُث وأنْ كانَ على استعدادٍ لبَذْلِ أيِّ مجهودٍ؛ أتعَلم؟ إنْ كنتَ تتذكَّر فقد اعتاد أنْ يَخلُدَ إلى النوم متى أخذَ حديثُنا أنا وأنت مسار الجديَّةِ، آه (ديك) لن أنسى أبدًا بعض أحاديثِنَا أحزَر أنَّكُ غيَّرتَ بعض معتقداتك قليلًا منذ ذلك الحين، لقد أصبحتَ بالأحرى ضيِّقَ الأفقِ حيال نهاية حياتك، ولكن بلا شك تَوسَّعَ أفقُكَ ثانيةً".

"كيفَ ذلك؟"

"حسنًا، الأمر واضِحٌ الآن، أليس كذلك؟ أنَّكَ لم تَكُن على صوابٍ بقدرٍ كبير. لماذا يا بُنيَّ العزيز، كنت في طريقِكَ إلى الإيمان بسماءٍ وجحيم حَرفيِّين".

"أفَليسَ ذلك صحيحًا؟"

"أوه، بِمعنىَ روحي لأكون مُتيقنًا مازِلتُ أؤمِن بهِمَا بذلك المعنى. مازلت يا بُنيَّ العزيز أتطلَّع إلى المملكة ولكن بلا أيِّ شيءٍ خرافي أو أسطوري".

"أعذُرنِي إلى أيِّ مكانٍ تَخالَ نفسَكَ ذَهَبْتَ؟"

"نعم، أرى ذلك، أنتَ تقصِد أنَّ تلكَ البلدة الرمادية بأمَلِهَا المتواصَل في حلول الصباح (علينا حتمًا أنْ نعيش جميعنا بالأمَلِ، أليس كذلك؟) وأفُقُها المُترامِي إلى تواسع مجهول هي بمعنى ما (السماء) فقط إنْ امتلكنَا عيون لرؤيتها، أنَّها فكرةٌ جميلةٌ".

"لَمْ اقصِدْ ذلك إطلاقًا، أيعُقَل أنَّك لا تعرِف إلى أينَ ذَهَبْتَ؟!"

"الآن وقد ذَكَرْتُها لا أعتَقِد أنَّهُ حدثَ وأنْ أعطينَاها اِسْمًا مِنْ قبلٍ، ماذا تُسمُّونَها؟"

"نَدعُوها الجَحِيم".

"لا دَاعِي لأنْ نكونَ مُستبيحِين يا وَلدِي العزيز، قد لا أكون أرثوذكسيًّا (ذا إيمان مستقيمٍ) كفايةً، بمفهومِكَ أنتَ للكلمة، ولكنِّي أشعُر أنَّ هذه الأمور لابُدَّ وأنْ تُناقَش ببساطَةٍ وبِجديَّةٍ وتبجيلٍ".

"نُناقِش الجحيم بتبجيلٍ؟! لقد عَنَيْتُ ما قُلتَ، لقد كُنتَ في الجحيم ومع ذلك إنْ لَمْ تَعُد إلى هناك يُمكِنُكَ أنْ تدعُوها المطهَر".

"استمِر يا بُنيَّ العزيز، استمِر فهذا أنتَ بعينِكَ. بلاشكٍ ستُخبِرُنِي لماذا مِنْ وجهة نظرِكَ أُرسِلت إلى هناك، لست أنا بغاضبٍ".

"لكن أحقًا أنتَ لا تعلَم؟ لقد ذَهَبْتَ إلى هناك لأنَّكَ مُرتَدٌّ".

"أأنتَ جادٌ، ديك؟".

"تمامًا".

"هذا أسوأ مِمَّا تَوقَّعْتُ، أتظُنَّ حقًا أنَّ الناس يتلقُّونَ عقوبةً جرَّاء آرائِهم الصادقة؟ حتّى إنْ افترَضْنا جدلًا أنَّها خاطئة".

"أتظُنُّ أنتَ حقًا أنَّهُ ما مِنْ ثِمَةِ خطايا عقلية؟"

"بالطَبْع يُوجَد ديك، فهناك العُنصريَّةُ المُتعَنِّتَة، التَضليلُ الفِكْري، الجُبْنُ، الخمُول، لكن الآراء الصادقة المُعتَنَقَة بلا خوفٍ فهي ليست خطايا".

"اَعلَمْ أنَّنا لطالما اعتَدْنَا الحديث على هذا النحو، فَعَلتُ هذا أيضًا حتّى آخر عُمْرِي عندما أصبحتُ مَا تدعُوه ضَيِّقَ الأفُقِ، الأمر كلُّه مُعتَمِدٌ على ماهيَّةِ الآراء الصادقة".

"آرائِي بالتأكيد كانت صادقةً، ليست صادقة فقط بل بطولية أيضًا، لقد صرَّحْتُ بِهَا بدون خوفٍ، حين لم تَعُد عقيدة القيامة تجد لها استحسانًا لدى حواس النَقْدِ خاصتِي والتي وهبَنِي إيَّاها الله رَفَضْتُها علنًا وألقيتُ محاضرَتِي الشهيرة، جَحدتُ الفَصْلَ بأكمَلِهِ، لقد واجهتُ كلّ مُخاطرةٍ".

"أيُّ مخاطرَةٍ؟ ما كان ليأتي مِنْ ذلك على كلّ حالٍ غيرَ ما أتىَ، الشُهرَةُ، مَبيعَات لِكُتُبِكَ، دَعاوي وأخيرًا مقرُّ الأسقُفيَّة".

"ديك، هذا جُورٌ مِنكَ، أيُّ شيءٍ تَحرِز؟"

"يا صديقي أنا لا أحزر أيَّ شيءٍ، أتفهَم؟ فأنا أعلَم الآن. لِنكُن صريحين، عن دافعٍ صادق لم تتكوَّن آراؤنا ببساطةٍ، لقد وَجَدْنا أنفسَنا على إتصال بتيارِ أفكار مُعيَّن، فقَفَزْنا فيه إذ وَجَدْناه عَصريًا وناجحًا. في الكُلِّية؛ أتعلَم؟ لقد بدأنا تلقائيًا بكتابةِ نوع المقالات الذي حصل على درجاتٍ جيدة، وقَوُلُ ذلك النوع مِنَ الأشياء الذي لاقىَ الإحسان والتصفيق،

متى طوال حياتنا حدثَ وأنْ وَاجَهْنا بصِدْقٍ وعلى إنفراد السؤالَ الذي يقوم عليه كلّ شيءٍ. ما إذا كان في النهاية يُمكِن أنْ يَحدُثَ في الحقيقة ما يفوق العقل أمْ لا؟

متى حدثَ وإنْ أبدَيْنَا للحظَةٍ واحدة مقاومةً حقيقيةً افقد إيماننا؟"

"إذا كان هذا يُقصَد بهِ تصويرَ لأصْلِ نشأة اللاهوت الليبرالي بوجهٍ عام، فجوابي أنَّ هذا افتراءٌ مَحْضٌ أتعتَقِد أنَّ أشخاصًا ك... ؟"

"لا علاقة لي بأيِّ تعميمٍ ولا بأيَّ شخصٍ سواي أنا وأنت، اوه، فأنتَ تَحِب ذاتَك الشخصيَّة، أتذكُر؟، أنتَ تعلَم أنَّنا أنتَ وأنا نلعَب بِنَرْدٍ مُثقَل[٤]، لَم نَرِدْ وأنْ يكونَ الوجه الآخر مِنَ النَرْدِ

---

[٤] Loaded dice نردٌ مغشوش ليعطي رقم معين.

صحيحًا، كُنَّا خائفين مِنْ المَذهَب الخلاصي الفظ خائِفين مِنْ مُخالفَةِ روح العَصر، خائفين مِنَ السخرية وخائفين (فوق الكل) مِنَ المخاوف والآمال الروحية الحقيقية".

"بعيدٌ أنا عن نُكران أنَّ الشبَابَ قَدْ يرتَكِبُون أخطاءً، قد يتأثَّرُون كثيرًا بموضات الفِكْر الحالية ولكن السؤال ليس عن كيف تكوَّنَتْ الآراءُ، المُهِمُّ هو أنَّها كانت آرائِي الصادقة مَوصُوفةً بإخلاصٍ".

"بالتأكيد، بسماحِنا للذات بالإنْجراف بلا مقاومةٍ، بلا صلاةٍ مُتقبِّلَة كلّ إغواءٍ نِصْف واعٍ مِنْ رغباتنا، وَصَلْنا لنقطَةٍ لم نَعُد عندها مُصدِّقين في الإيمان تمامًا كما يَصِل، رَجُلٌ غيورٌ مُنجَرِف بلا مقاومة، إلى نقطة يُصدِّق عندها أكاذيب بشأن أعزِّ أصدقائِهِ، كما يَصِلُ سكير لِنُقطة يُؤمِن حقًا عندها (للحظةٍ) أنَّ كأسًا آخر لن يُسبِّبَ لَهُ أيَّ ضررٍ. المعتقدات مُخلِصَةٌ مِنْ مفهوم أنَّها تَحدُث كعمليات نفسية في عقلِ الإنسان إذا كان هذا ما تقصد بالإخلاص فهي مُخلِصَةٌ، وكذلك كانت آراؤنا. لكن الأخطاءَ مِنْ هذا المفهوم ليست بريئةً".

"ستَقوم بتبرئة محاكِم التفتيش خلال لحظات".

"لِمَا عليَّ ذلك؟ هل لأنَّ العصور الوسطى أخطأت في إتِّجاه مُعيَّن يتبَع ذلك أنَّهُ ما مِنْ خطأ في الإتجاه المُعاكِس؟"

"حسنًا هذا بالِغُ التشويق " قال شَبَحُ الكنيسة الأسقفية " أنَّها وجهَةُ نَظَرٍ، بالتأكيد وجهة نظر، في تلك الأثناء.. "..

"ما مِن (تلك الأثناء)؟؟" أجابَ الآخر: "آه، انتهىَ الأمْرُ. نَحنُ لا نَلهُو الآن كنت أتحدَّث بشأنِ الماضي (ماضيكَ وماضيَّ) فقط أمَلًا في أنَّك قد تتحوَّل عَنْهُ إلى الأبد، لَيَّةٌ واحِدَةٌ وينخَلِع الضرس، يُمكِنُكَ أنْ تبدأ وكأنَّ لَمْ يَحدُث أيُّ شيءٍ خاطئ، أبيضٌ كالثَلْجِ الأمر صحيح تمامًا؛ أتعلَم، أنَّهُ بداخلك لأجْلِكَ أنتَ بتلك القوة. ولقد قطعت رحلةً طويلة إلى هنا لأقابلكَ. لقد رأيتَ الجحيم، أنتَ في مجالِ رؤية السماء. هل حتّى في هذه اللحظة ستتوب وتُؤمِن؟"

"لستُ مُتأكدًا أنَّني استوعِب بالتحديد ما تُحاوِل أنْ تطرحَهُ". قالَ الشبحُ.

"لا أطَرحَ أيَّ وجهَةِ نظرٍ"، قال الروح: "أسألكَ أنْ تتوبَ وتُؤمِنَ".

"لكن يا بُنيَّ العزيز أنا أؤمن بالفِعْل قَدْ لا نَكُون مُتَّفقِين تمامًا، لكنَّك أسأت الحُكْمَ عليَّ تمامًا إنْ كُنتَ لا تعتقد أنَّ ديانَتِي حقيقية جدًّا وثمينة جدًّا بالنسبة لي".

"حسنًا جدًّا"، قال الآخَرُ كمَن يُغيِّر خِططَهُ: "هل ستُصدِّقَنِي؟"

"بِمَعنى ؟"

"هل ستأتي معي إلى الجبال؟ سوف يُؤلِمُكَ الأمر في البداية إلى أنْ تتقسَّى قدمَاك. فالحقيقة قاسية للأقدامِ المصنوعة مِنْ ظلالٍ، ولكن هل ستأتي؟"

"حسنًا هذه خطَّةٌ لأ بأس بِهَا وأنا على أتَمِّ استعدادٍ أنِ أخُذَها بعينِ الإعتبَارِ. وبالطبع عليَّ المُطالبَة ببعضِ الضمانات... أريد تأمينًا بأنَّكَ مُصطَحِبْني إلى مكانٍ حيث أجِدَ دائرةً أوسَع الإفادة ومَجال للمواهب التي وهبني الله ومناخ للتساؤل الحُر. بإختصارٍ، كلّ ما يعنيه المَرْءُ بالحضارة و(بتردُّدٍ) الحياة الروحية".

"لا"، قال الآخَرُ: "لا أقدِر أنْ أعدك بشيءٍ مِنْ هذه، لا دائرةٌ مِنَ الإفادة، فلا حاجَةٌ لكَ هناك على الإطلاق. لا مجال لمواهبِكَ بل فقط غفران لِجُحْدِكَ إيَّاها. لا مناخ للتساؤل إذ سأحضرك إلى أرض الإجابات لا التساؤلات. وسوف ترى وجهَ الله".

"آه، ولكن يتحتَّم علينا أنْ نُترجِمَ تلك الكلمات الجميلة إلى لُغتِنا الخاصة. فبالنسبة لِي ما مِنْ ثِمَةِ إجابةٍ نهائية، فريَاحُ التَساؤل المُتحرِّرة يَجِب أنْ تستَمِرَّ في الهبوب داخل العَقْل أليس كذلك؟ مُستكشِفَة كلّ الأشياء... الإرتحالُ بأمَلٍ خيرُ مِنَ الوصول".

"إنْ كان ذلك صحيحًا، وشائِعٌ أنَّهُ صحيحٌ، فكيف يرتَحِل أيُّ شخصٍ بأمَلٍ؟ فليس هناك ما يُأمَلُ فيه".

"ولكن لابُدَّ وأنَّك أنتَ ذاتُكَ تَشعُر بشيءٍ خانِق حيالَ فكرةِ الحَسميَّة(finality)؟

الركُود؛ يا بُنيَّ العزيز. أيُّ شيءٍ أكثرَ دمارًا للروح مِنَ الركُود؟".

"تَظُنُّ ذلك لأنَّك إلى الآن قد اختبرتَ الحقيقة فقط بالعَقْلِ المُجرَّد، سآخُذُكَ حيث يُمكِنُكَ تذوُّقَها كعسلِ النحل وتحتضن بها كما بعروستِكَ. إنَّ عطشَكَ سَيُروىَ".

"حسنًا، حقيقةً أتعلَم؟ لا يَستَرعَى إنتباهي عَطَشٌ لحقيقةٍ جاهزةٍ تضَع خاتمةً للنشاط العقلي بالمعنى الذي تَصِفَهُ. استبقِي لِي على الدور الحر للعقل يا ديك؟ أنا أُصِرُّ على ذلك كما تعلَم".

"حُرٌّ كَرَجُلٍ حُرّ أنْ يشربَ بينَما هو يشرب بالفِعْل لكنَّهُ غير حرٍّ أنْ يَظِلَّ عَطِش"، بَدا الشبح مُفكِّرًا للحظات ثمّ قال: "لم استوعب شيئًا مِنْ هذه الفكرة".

"اِسمَعْ"، قالَ الروح الأبيض: "يومٌ مِنَ الأيام كنت طفلًا ويُومًا مِنَ الأيام عَرِفْتَ لأيِّ غرضٍ جُعِلَ التساؤل. كان ثِمَةُ وقتٍ طرحتُ فيه الأسئلة لأنَّك أردتَ إجاباتٍ وسَعِدْتَ لَمَّا وَجَدْتُها. اِرجَع هذا الطِفْلُ مُجدَّدًا حتّى لو في الوقت الحاضر".

"آه، ولكن حين أصبحتُ رَجُلًا تخلَّيْتُ عن الأشياء الطفولية".

"لقد ذَهَبْتُ بعيدًا في الإتجاه الخاطئ، فالعَطشُ جُعِلَ لأجل الماء، الاستقصَاءُ لأجل الحقيقة. فعلاقَةُ ما تدعوه الآن بالدور الحُرِّ للعقل، بالغرضِ الذي لأجله مُنِحْتَ الذكاءَ لا تتجاوز علاقة العادة السرية بالزواج".

"إذا لم نَستَطِعْ أنْ نكونَ مُبجَّلِين فلا داعي لأنْ نكونَ فاحشِين. اقتراحُ العودة في سنِّي هذا إلى الاستفسار الصبياني الحقيقي المُجرَّد يأتيني كأمرٍ مُحالٍ. فَفِي حالتي ذلك المفهوم الطفولي للسؤال والجواب ينطبق فقط على الحقائق. أمَّا الأمور الدينية والتخمينية فَعلى مُستوى مُختَلِف بالتأكيد".

"نَحنُ لا نعلم شيئًا هنا عن الدِين فنَحنُ نُفكِّر فقط في المسيح. لا نعلم شيئًا عن التخمِين. تعال وانظُر. سأُخُذُكَ إلى الحقِّ المُطلقِ أبُّ جميع الحقائق الأخرى".

"سأعتَرِضُ بقوَّةٍ على وَصْفِ الله بالحقِّ، القيِمَةُ الأسمَى ستكون بالتأكيد وَصْفًا أقل نُقْصًا. مِنَ الصَعْبِ. "..

"ألاَ تُؤمِن حتّى بأنَّه مَوجُودٌ؟".

"مَوجودٌ؟ ماذا يعني الوجود؟ سَتَستَمِرَّ هكذا في الاشتمال على نَوعٍ ما مِنْ حقيقةٍ ثابتة وجاهزة تُوجَد إذا جازَ التعبير هناك وعليها يَجِب أنْ تتكيَّفَ عقولُنا ببساطةٍ، هذه الألغاز العظيمة يَجِب ألاَّ تُستكشَف بهذه الطريقة. إذا كان هناك شيءٌ كهذا (لا حاجة لُمقاطعتِي يا بُنيَّ العزيز) فبصراحةٍ شديدةٍ لن ينجَذِبَ إهتمامي له. لن يكون ذا أهميَّةٍ دينية. الله بالنسبَةِ لِي شيءٌ روحيٌّ خالِص، رُوحُ العذوبة والضياء والإحتمال واا الخدمة. ديك؛ الخِدمَةُ، لا يَجِب ألاَّ ننسىَ ذلك كما تعلَم".

"إذا كان العَطشُ للمَنطِق قد مات حقًا.. ".. قالَ الروحُ ثمّ توقَّفَ بعدها متأملًا، ثمّ قال فجأة: "ألاَ زِلْتَ تستطيع على الأقلِّ أنْ ترغبَ في السعادة؟"

"السعادَةُ، يا بُنيَّ العزيز"، قال الشَبحُ بهدوءٍ: "السعادةُ كما ستراها عندما تكبَر تكمُن في طريق الواجب. وهذا يُذكِّرَنِي بِـ... باركَنِي الله كِدْتُ أنسىَ بالتأكيد لا أقدرُ أنْ آتِيَ معكَ عليَّ أنْ أكونَ قد عُدْتُ بحلول الجُمعةِ القادمة لإلقاء مقالة. لدينا

مُجتَمَع لاهوتي صغير هنالك بالأسفل. أوه، نعم، الكثيرُ مِنَ الحياةِ العقليَّةِ، ليست ذات جودةٍ عالية جدًّا ربما. فالمَرءُ يُلاحِظ نَقصًا واضح للسيطرة، نشوش واضح للعقل. ذلك المكان حيث استطيع أنْ أكونَ ذا نفعٍ بالنسبَةِ لَهُم. أيضًا حتّى الأحقاد المُؤسِفَة توُجَد هناك. لا أعلَم لماذا، لكن الطِباعَ تبدو فاقدةَ السيطرة قليلًا عمَّا اعتادَتْ أنْ تكونَ ومازال المَرءُ لا يستَطيع تَرجّي الكثيرَ مِنَ الطبيعة البشرية. يُخالِجُني شعورٌ بأنَّ في مقدوري فِعْل الكثير بينهُم ولكنَّك لم تَسألني قط عمَّا تدور مَقالَتي، أتناوَل فيها نصَّ (قياس قامة ملء المسيح) وأطرَح فكرَة متأكِّد مِنْ أنَّها ستَحظىَ بإهتمَامِكَ. سأصوِّب النظرَ على كيف أنَّ الناسَ يَنسُونَ أنَّ يسوع (وهنا انْحنىَ الشبح) كان شابًا بعضُ الشيء لَمَّا مات، مِنَ المُحتمَل أنَّهُ، أتعلَم؟، كانَ ليستغنىَ عن بَعض مُعتقداتِهِ القديمة لو عاش أكثر، ومِنَ المُحتمَل أنَّهُ كان ليفعل ذلك، بِمزيدٍ مِنَ الكياسَةِ والصَبْر بعض الشيء سأسأل جمهوري عمَّا كانت لتبدو آراؤه الناضجة، سؤال جَدٌّ مُثير للإهتمام. يالها مِنْ مسيحيَّةٍ كُنَّا لِنحصِلَ عليها فقط إنْ وصَل مُؤسِّسُها إلى مِلء قامَتِهِ. وسأختِمُ بالإشارةِ إلى كيف أنَّ هذا يُعمِّق فائدة الصليب. يَشعرُ المرءُ للوهلةِ الأولى أيَّ كارثَةٍ

كان الصليب. أيُّ خسارةٍ مأساوية.. يالها مِنْ إقتطَاعِ (قبل الإكتمال) واعدٌ جدًا. أوه، أيتحتَّمُ عليكَ الرحيل الآن؟ حسنًا عليَّ أنا أيضًا الوداع يا بُنيَّ العزيز سُرِرْتُ جدًا، مُثيرٌ ومُحفِّزٌ (لقاؤنا) لأقصى درجة. الوداع، الوداع".

أمَاءَ الشَبحُ رأسَهُ للتحيَّة وأشعَّ على الروح بإبتسامة كهنوتية ساطعة أو أقربُ ما يكون إليها بقدرِ ما تستطيع شفاهٌ وهميَّةٌ ثمّ تحوَّل مُدَندِنًا بهدوءٍ في نَفسِهِ: "مدينةُ الله ما أوسعُها وأبعدُها".

لكنِّي لم أراقِبَهُ طويلًا إذ بزغَتْ في عَقلِي فكرةٌ جديدةٌ، دار في خُلْدِي أنَّهُ إذا كان العُشْبُ صَلبًا كالصَخْرِ أفلاَ تكون المِيَاهُ صلبةً كفاية للسَيْرِ عليها؟ جرَّبْتُ الأمر بقَدَمٍ واحدةٍ فلَمْ تَغُص قَدَمِي واللحظة التالية خَطَوتُ بجسارةٍ على سَطْحِ الماء وفي الحالِ سَقَطْتُ على وَجْهِي وأُصِبْتُ ببضعَةٍ كدماتٍ كريهة نَسَيْتُ أنَّها مع كَونِها بالنسبَةِ لِي صلبةً فلَمْ تَكُنْ أقلَّ مِنْ ذلك أبدًا في حركةٍ سريعة. عندما لُملمتُ نَفسِي واقفًا كُنتُ على نَحو ثلاثين ياردة إلى أسفل مِنْ حيث تَرَكْتُ ضفَّةَ النهرِ لكن هذا لم يَمنعنِي مِنَ السَيْرِ إلى فوق عكس تيار المياه لكن هذا لم يتخطَّى كونِي بالسَيْرِ سريعًا جدًّا بالتأكيد أحرَزْتُ تَقدُّمًا قليلًا جدًّا.

الفصل السادس

كانَ الجِلْدُ البارِد الناعم للمياه لذيذًا لقدميَّ لِقُرابَة ساعة مِنَ السَيْرِ عليه مُحرزًا تَقدُّمًا نَحو مِئَاتٍ مِنَ الياردات. بعدها أصبَح السَيْرُ مُختلفًا، رقائق أو عناقيد عظيمة مِنْ رغَاوي (المياه) هبطَتْ كدوَّامة ناحيَتِي كادِمَةً ساقَيَّ كالحجارة إنْ لم ابتَعِد عن طريقِهَا. باتَ السَطْحُ غيرَ مستوٍ مُلتفًّا على نَفسِهِ في تجاويفٍ وكيعان جميلة مَن المياه ما شوَّه مَنظرَ الحصوات في القاع وأفقدَنِي إتِّزَاني. لذا اضطرَرتُ الزَحْفَ إلى الشاطِئ وإذ شكَّلَتْ ضفَّة النَهْر في هذا المكان أحجار كبيرة مستوية باشَرْتُ رحلَتِي بغيرِ ضررٍ كبيرٍ لقدَميَّ.

ضوضاءٌ هائِلَةٌ وإلى الآن مُحبَّبَة اهتزَّت خلال الغابة وبعدها بساعةٍ استدَرْتُ ورأيتُ تفسيرَهَا.

كوَّنَتْ أمامِي بعضُ المُنحدرات الخضراء مُدرَّجًا أحاطَ بِبُحيرَةٍ نابضَةٍ مُزبَدَةٍ (بالرغاوي) ومِنْ فوق العديد مِنَ الصخور المُلوَّنَة انْحدَرَ شلاَّلٌ لِيَصُبَّ فيها.

هنا ولمَرَّةٍ أخرى أدرَكْتُ أنَّ شيئًا ما حدثَ لحواسي فأصبَحَتْ الآن تستوعب إنطباعَات كانت لتفوقَ قُدرَتِي على الأرض، شلاَّلٌ كهذا لم يَكُنْ ليُدرَك بالكامِل، كان كبيرًا جدًا. كان صَوتُه بمثابَةِ رُعبٍ في الغابَةِ لِمَسافَةِ عشرين ميلًا. هنا بعد الصدمَةُ الأولى استقبَل إدراكي كليهُمَا كمَا تَستَقبَل سفينةٌ صَلبةُ البناءِ مَوجةً عملاقة. تَهلَّلْتُ فالضوضاء بالرَغْم مِنْ كونِها

عملاقة فقد كانت كَضِحْكَةِ عملاق، كمَرحِ مجمُوعة كامِلة مِنَ العمالقة يَضحَكُون، يتراقَصُون، يُغنُّون سويًا ويزَأرون بأعلىَ ما لديهِم.

وعلى مَقربَةٍ مِنْ حيث غَطسَ الشلاَّلُ في البُحيرَةِ نَمَت شجرةٌ هناك، رطبة بفَعْل رذَّاذ الشلال مُحتجبةً حتّى المُنتَصِف وراءَ أقواس رغَاوي المياه، تُومِض بالطيُورِ البرَّاقَةِ الغَير محدودَة المُحلِّقَة بين أغصانِها. نَما مِنْها أشكالٌ عديدةٌ مِنَ الأوراقِ المُتلاطِمَة كالأمواجِ والهائِلَة كسُحُبِ فنلندا ومِنْ كلّ نُقطَةٍ تَومِضُ تفاحاتٌ مِنْ ذهبٍ بين الأوراق.

فجأةً تشتَّت إنتبَاهِي بِمَنظرٍ غريبٍ أمامي، زعرورةٌ بريَّة على بُعْد ما لا يزيد عن عشرين ياردة بدَتْ كَمَنْ يتصرَّف بغرابةٍ ثمّ أدرَكْتُ أنَّها لم تَكُنْ الشجيرةَ بل شيءٍ قريبٍ وعلى هذا الجانبُ مِنْها (الذي كُنتُ أقِفَ عليه).

أخيرًا أدرَكتُ أنَّهُ كانَ واحِدًا مِنَ الأشبَاحِ رابِضًا كمَا لِيَخفِيَ نفسَهُ مِنْ شيءٍ خلفَ الشجرَةِ ينظُر للوراء نَحوي مُطلِقًا إشارات وظلَّ يُشيرِ إليَّ حتّى أتوارَى وإذا لم استطِع أنْ أرىَ ماذا كان الخطَرُ وَقَفْتُ بثبَاتٍ.

والآن بعدما تفقَّدَ جميعَ الإتجاهات بنظَرِهِ خاطرَ الشبَحُ بالبقَاءِ وراءَ الشُجيرَةِ. لم يستَطِع التَحرُّكَ بسرعةً بِفِعْل العُشْب المُعذَّب تحت قدميه ولكن كان واضحًا أنَّهُ تَحرَّكَ بأسرعِ ما يُمكِن مباشرةً نَحو شجرةٍ أخرى وهناك توقَّفَ ثانية مُنتصبًا على جَذْعِ الشجرةِ كَمَنْ يتَّخِذَها غطاءً.

وإذْ شمَلتَهُ ظلال الفروع الآن استطَعْتُ أنْ أراه بصورةٍ أفضل. كان رَفيقِي ذو القبعة السوداء المستديرة والذي دعاه الرَجُل الضخم (ايكس) وبعدما وقفَ لاهثًا عند الشجرة قُرابَة عشرة دقائق مُستطلِعًا بِحَذرٍ المكان أمامه قام بإنطلاقةٍ نَحو شجرة أخرى، إنطلاقَة على قَدْرِ استطاعته وبهذه الطريقة وبِجَهْدٍ وحَذَرٍ مُطلقين وَصلَ للشجرة العظيمة بعد ساعة تقريبًا وأصبح في مجال عشر ياردات مِنْها.

قُيِّدَتْ حركَتُه هنا[٥]. فحَولَ الشجرةِ نَبتَ حِزَامٌ مِنْ زنابقِ الحَقْل. بالنسبة للشبحِ كانَت عقبةً لا يُمكِن تَخطِّيها غالبًا كان حالُه كَمَنْ يَخطُو على سياجٍ مُعرقِل للدبَّابات إنْ حاولَ السَيْرَ عليها (الزنابق). استلقَى على الأرض وحاولَ الزَحْفَ مِنْ بينِها ولكنَّها نَمَت متقاربةً جدًّا مِنْ بعضِهَا ولم تَكُن لتنثَنِي، وطيلةَ الوقت طاردَتَهُ رُعبَةٌ أنْ يُكتشَف. ارتعَد مع كلّ همسَةٍ أصدَرَتْهَا الرياحُ وذاتَ مرَّةٍ بسماعهِ صرخَة طائر تَكبَّد العناء رجوعًا إلى مخبئِهِ السابق ولكن الرعبةَ داهمَتَهُ مجددًا فزحف ثانية إلى الشجرة. رأيتَهُ يُشبِّك يديه ويتلوى مِنْ كَرْبِ إحباطِهِ.

ارتفَعت الريَاح على ما يبدو، ورأيتُ الشَبَح يَعصُر يديه ثمّ وضع إبهامَهُ في فَمِه مضغوطًا بشدَّةٍ - لستُ أشُكَّ في ذلك - بين اثنتين مِنَ الزنابق

---

[٥] في الأصل checked وهي المستخدمة في الشطرنج بمعنى كِش.

أرجحُهمَا النسيم. ثمّ حدثَتْ عاصفة حقيقية فبدأتْ أفرُعُ الشجرة في التساقُطِ واللحظة التالية تساقَطَ نَحو نصف دزينَةٍ مِنَ التفاح حول الشبح وعليه فأطلقَ صرخةً ولكن سرعان ما كبتها بداخله على حين غُرَّةٍ. حَزرت أنَّ ثِقَلَ الثمرات الذهبية حيث أصابَتَهُ كفيا بأنْ يُعجِّزَه تمامًا وبالتأكيد لَمَ يستَطِع النهوض لمدة عشر دقائق. استلقى ناشجًا مُطبِّبًا جراحاته ولكنَّه عاد لعملِهِ ثانيةً بعد فترةٍ قصيرةٍ.

رأيتَهُ كما لو أخذَتَهُ حُمَّى في محاولة ملء جيوبِهِ بالتفاحات وبالطبع هباءً.

يستطيع المَرء أنْ يرىَ كيفَ تَبدَّدَ طموحُه تدريجيًا. تَخلَّى عن فكرة الجيب المَلِيء بالتفاح إذ ستتكفَّل تُفاحاتَان فقط بملئِهِ، ثمّ تخلَّى عن فكرة التفاحتين عَلَّه يأخذ واحدةً، أكبَرُها جميعًا ثمّ طرحَ عَنْهُ هذا الأمْلُ. لم يَكُن يبحَث عن أصغرها بل عن واحدةٍ صغيرةٍ بِمَا يكفِي ليستوعبها جيبُه.

المُدهِش في الأمر أنَّهُ نجحَ في ذلك. عندما تذكَّرْتُ حال الورقة (الأقحوانة) عندما حاوَلتُ قَطْفَها استطعتُ بِشقِّ الأنفُسِ أنْ أُعجَبَ بهذا المخلوق البائس وأنا أراه ينهض على قدميه مُترنِّحًا يَحمِل فِي يديه أصغَر التفاحات جميعًا. وكان يَعرُج متأثرًا بجراحاته بينما أحناه الوزن إلى نصفين وإلى الآن خطوة بعد خطوة لايزَال ينتَفِعَ بِكُلِّ جُزءٍ مِنْ غطائِهِ (الذي وفَّرتَهُ لَهُ الشجرة) وشرعَ في طريق الآلام إلى الحافلة حامِلًا مُعذِّبَه[٦].

---

[٦] في الأصل Via dolorosa وتعنى طريق الجلجثة.

"ضَعها أرضًا يا أحمق". قال صوتٌ فجأةً كان مختلفًا كثيرًا عن أيِّ صوتٍ آخر سَمِعْتُهُ حتّى الآن. صوتٌ مُرعِد وإلى الآن رخيم.

عَرِفْتُ، مَذعورًا بالتأكيد، أنَّ الشلال ذاتَهُ كان يتحدَّث ورأيت الآن (مع أنَّهُ لم يتوقَّف عن أنْ يكونَ مِثْلَ شلالٍ) أنَّهُ كان أيضًا ملاكًا ساطعًا وقفَ، كما المصلوب، مُستنِدًا على الصخور ساكِبًا ذاته أبدًا إلى أسفل ناحيةِ الغابة بفرحةٍ مُدويَةٍ.

قال: "يا أحمَق ضَعهَا أرضًا، لا يُمكِنَك العودة بها. لا مكان لها في الجحيم. اِبْقِ هنا وتعلَّمَ أكْلَ تُفاحات كهذه. ستسعد الأوراق والأعشاب بتعليمك".

أَسمَعَ الشَبْحُ أمْ لم يسمَع، لا أعلَم إطلاقًا؟ وبعد توقُّف لدقائق معدودة شحَّذَ همَّتَهُ مِنْ جديدٍ في مواجهَةِ آلامِهِ وواصَل بِحَذرٍ أعظَم بكثير حتّى غاب عن بَصَرِي.

الفصل السابع

بالرغمِ مِنْ مشاهدَتِي لِبَليَّةِ الشَبَح ذي القُبَّعَة بشيءٍ مِنَ الرضا عن الذات إلاَّ أنَّنِي وَجَدْتُ عندما تُرِكنا وحيدين أنَّني لا أطيقُ حَضْرَةَ عملاق المياه. بدَا وأنَّهُ لم يَلحَظْنِي قَط ولكنِّي أصبَحْتُ مُعطِيًا لذاتِي قَدْرَهَا وأعتَقِدَ أنَّ تَحرُّكَاتِي اكتسبَت بعضًا مِنَ اللامبالاة المَزعومَة ابَّان سَيْرِي مُبتعدًا عن الصخور المُستويَة لأسفل مع إتِّجَاه تيار المياه مرة أخرى.

أخذ الإرهاقُ يَعرِف طريقَهُ إليَّ وإذ رأيتُ السمكة الفضيَّة تتواثب في قاعِ النَهْر تَمَنَّيْتُ كثيرًا لو كانت المياه قابِلَة لِنفَاذي أنا أيضًا مِنْ خلالها. كنتُ لأرغب في غطسَةٍ.

"أتُفكِّر في العودَةِ؟" قال صوتٌ قريبٌ مِنِّي كثيرًا، فتحوَّلْتُ ونظَرْت شبحًا طويلًا يقِف مُسنِدًا ظهره إلى أحد الأشجار يُدخِّن غليونًا أرضيًا (شَبَحيًّا). رَجُلًا نْحيلًا قاسِ الطباع ذا شَعْر رمادي وصوتٍ أجشٍّ ولكن ليس سُوقِي (جاهِل). ذلك النوع مِنَ الرجال الذي لطالما شَعَرْتُ بالفطرَةِ أنَّهُ يُعتَمَد عليه.

"لا أعلَمُ، ألعلَّك أنتَ؟"

"نَعم؛ أعتَقِد أنِّي رأيتُ كلّ شيءٍ هُنَا".

"ألاَ تُفكِّر في البقاء؟"

قال: "هذا كُلُّه دعايةٌ بالطَبْعِ، لم يَكُن هناك أيِّ فرصَةٍ لبقائنا هنا، فأنت لا تقدَر على أكْلِ الثمار أو شُرْب المياه، وقد يستغرق الأمر حياتَك كُلَّها حتّى تسير على العُشْبِ. لا يُمكِن للإنسان أنْ يعيشَ هُنا. فِكرةُ البقَاءِ بأكمَلِها ليست إلاَّ إعلانات بهلوانية بارعة".

" لماذا جِئْت إذًا؟".

"أوه، لا أعلم. فقط لألقِيَ نظرةً فأنا اُمرِؤ يُحِبَّ أنْ يُعايِنَ الأشياء بنفسِهِ، أينمَا ذهبتُ ألقَيْتُ نظرةً على أيِّ شيءٍ حَظِيَ بإهتمَامِ الجموع. عندما كُنتُ بالخارج في الشرقِ، ذَهبتُ لأرى بكين. وعندما.. "..

"وكيف كانت بكين؟"

"لا شيء، فقط جدارٌ داخِلَ سورٍ، فَخٌّ للسُيَّاح. زُرْتُ جميعَ الأماكن قاطبةً، شلالات نياجرا، الأهرامات، مدينة البُحيرَةِ المالِحة، تاج مَحَلّ.. "..

"وكيف كانت جميعُهَا؟"

"لا تَستَحِقَّ حتّى النظرَ إليها، كُلُّها إعلانات بارعة، كلها تُدَار بواسطة الأشخاص عَيْنِهُم. ثِمَةُ رابطَة، أتعلَم؟ رابِطَةٌ عالميَّة

تُمسِك بالخريطة وتُحدِّد أين سيكون المَعْلَمُ السياحي ولا يَهِمَّ ما يختارون طالما الدعاية يَتِمَّ إدارتَها بالشكل المناسِب".

"وهَلْ عِشْتَ هناك في المدينة، في الأسفل لبعض الوقت؟"

"فيمَا يدعُونَها بالجحيم؟ نعم أنَّها فَخٌّ (flop) أيضًا. يقتادُونك لِتَخيُّلِ نيران حمراء وشياطين وكلّ أنواعِ الأشخاص المُثيرَة الإهتمام. يَصِرُّونَ بأسنانهم فوق حديد مُحمَّى - هنري الثامن[٧] وكلّ أولئك - ولكن عندما تَصِل تَجِدْها تمامًا كغيرها مِنَ البلدان".

قُلتُ: "إنِّي أُفضِّل المكان هنا في الأعلى".

"حسنًا، لا أرى مَغزى مِنْ كلّ هذا الحديث"، قال الرَجُل القاسِي الطباع: "إنَّها جَيدَّةٌ فقط بقدر ما تبدُو أيِّ حديقَةٍ أخرى جيِّدة لتجتَذِبَ النظرَ، ولكنَّها لعينَةٌ غيرَ مُريحَة".

"يبدو وأنَّ هناك مُعتَقَدٌ بأنَّهُ إنْ مَكثَ أحدُهُم هنا سوف يتحسَّن. فالجندي يتأقلَمَ".

---

[٧] Henry VIII (١٤٩١- ١٥٤٧) ملك على إنجلترا من عام ١٥٠٩ إلى يوم وفاته وحدث خلاف بينه وبين البابا بسبب إلغائه لأحد زيجات الملك مما دفعه لعزل الكنيسة عن رياسة البابا جاعلًا نفسه الرأس الأعلى للكنيسة، كما قام بحلّ بعض الأديرة وعُرِف بتغييراته الشاملة واعتقاده في الحقوق الكاملة للملوك كما لو كانوا آلهة.

قال الشَبحُ: "أعلَمُ هذا تمامًا، نفسُ الأكذُوبَةِ القديمة. لقد أخبَرَنِي الناس هذا النوع مِنَ الأشياء طيلةَ حياتي كلها، أخبرُونِي في الحضانة أنَّهُ إنْ بَقَيْتُ ولدًا صالحًا سأكون سعيدًا. وأخبَرونِي في المدرسة أنَّ اللغةَ اللاتِينيَّة ستَسهُلَ مع الوقت وبعد زواجي بشهرٍ ظلَّ يُخبِرُنِي أحدُ الحمقىَ أنَّهُ لطالما وُجِدَتْ المصاعب في البداية ولكن بالكياسَةِ والصَبْرِ سأجْنِي عمَّا قريبٌ الاستقرارَ وسيرُوقَنِي الأمْرَ. وطيلة حربين كاملين[٨]، أهُناكَ شيءٌ بعد لم يقولوه عن الأوقات الجيدة القادمة فقط إنْ أصبحتُ ولدًا شجاعًا وذهبتُ لألقيَ حتَفْي بعيارٍ ناري؟ بالتأكيد سيلعَبُونَ نفسَ اللعبة القديمة هنا إنْ وُجِدَ أحدٌ أحمَق كفايةً لِيستمعَ لهم".

"ولكن مَنْ (هُمْ)؟ مِنَ المحتمل أنْ يكونَ شَخْصٌ مُختَلِف هو مَنْ يُدِير هذا".

"إدارةٌ جديدةٌ كليًا، أليس كذلك؟ ألاَ تُصدِّق، قَطْعًا ليست بإدارةٍ جديدة. ستَجِد دائمًا نفسَ الحلبَةِ القديمة. أعْلَمُ تمامًا كيف تأتي والدتُكَ الغالية الحنون إلى غرفةِ نومِكَ وتَحصِل مِنْكَ على كلّ المعلومات التي تُرِيدَها، لكنَّك لطالما رأيتَها على نَفْسِ الدرجة

مِنَ الحَزْمِ كأبيكَ تمامًا. ألَمْ نَجِدْ دائمًا أنَّ قُطْبيَّ الحَرْبِ يتمَّ إدارتهُمَا بنَفْسِ شركات تصنيع السلاح؟ أو بالشَرِكَة التي خَلْفَ اليهود والفاتيكان والديكتَاتُوريِّين والديمُوقراطيِّن وكلّ البَقيَّةِ، كلّ شيءٍ هُنا يُدَار بواسطة نَفْس الأشخاص الذين يَديرُون المدينة. أنَّهُم فقط يضحَكُون (يتلاعَبُون) علينا".

"كنت أحسبَهُم في حَرْبٍ[٩]؟"

"بالتأكيد فعلتَ، فهذه هي النُسخَةُ الرسميَّةُ، ولكن مَنْ رأى أيَّ علامَةٍ على ذلك؟، أوه، أعلَمُ أنَّهُم هكذا يتحدَّثُونَ، ولكن إنْ كانَ هناك حَرْبٌ حقيقيَّة فَلِمَا لا يَقومُون بأيِّ شيءٍ؟ ألاَ تعتَقِد بأنَّهُ لو كانت النُسخَةُ الرسمية حقيقيةً لهَاجَمَ هؤلاء الرجال هنا تلك البلدة، ومحُوهَا مِنَ الوجود؟ يَمتَلِكُون القوَّةَ إنْ أرادُوا إنقاذَنا يُمكِنَهُم ذلك، ولكن واضِح أنَّ أخرَ شيءٍ يرغَبُونَ فيه هو إنهَاءُ ما يَدعُونَهُ (حرب) فاللعبَةُ بأكمَلِها تَعتَمِد على إبقاء الحرب سارية".

بدا لي هذا المنظُور (للقضية) معقولٌ بطريقَةٍ غير مُريحَة، فَلم أتفوَّه بشيءٍ.

---

[٩] الصراع بين الجحيم والسماء.

"على أيِّ حالٍ"، قالَ الشبَحُ: "مَنْ يُريد أنْ يَتِمَّ إنقاذَهُ؟ ما عسى الجحيم أنْ يفعلَ هنا[١٠]؟"

"أو هنالك".

"تمامًا"، قال الشبَحُ: "أنتَ تَحتَ أيديهم في كلّ الأحوال".

"ماذا كُنتَ لِتفعَلَ لو امتلكتَ قرارَكَ؟" تساءلتُ.

"ها أنتَ ذا"، قال الشبحُ بِنَوعٍ مِنَ الفخامة: "تَطلُب مِنِّي أنْ ارسِمَ خطةً. هذا الأمر في أيَدي الإدارة، أنْ تُوجِدَ شيئًا لا يُشعِرُنَا بالملل، أليسَ كذلك؟ هذا عَمَلُهُم هُمْ، لِمَا علينا القيام بذلك بدلًا مِنْهُم؟ في هذه النقطَةُ تمامًا يَقلُب الكهنةُ والأخلاقيون الأمورَ رأسًا على عَقب. ما ينفكُّون في سؤالنا عن تغيير أنفُسِنا ولكن إنْ كانَ الأشخاصُ الذين يتولُّون إدارة العرض أذكياء وأقوياء حقًا، فلِمَا لا يَجِدُون شيئًا مُناسِبًا للجمهور؟ كلّ هذا الكلام الفارغ عن النمو أكثر صلابة، فلا يَجرَح العُشْبُ أقدامَنا. الآن ثمة مثالٍ ماذا ستقول إنْ ذهبتَ إلى أحَدِ الفنادق حيث كان البَيْضُ كُلَّه فاسدًا، وإذ شَكوتَ إلى المدير فبدلًا مِنْ الإعتذارِ وتَغييرِ اللبَّان، أخبرك أنَّهُ إنْ حاولتَ سَتُحِبَّ البيض الفاسد عمَّا قريبٍ".

---

[١٠] أي أن سكانها لا يستطيعون العيش كما قال سابقًا.

"حسنًا، عليَّ الذهاب. أأنتَ آت مَعِي؟" قال الشبحُ بعد بُرهَةٍ قصيرة.

"ما مِنْ جدوى في مفهومِكَ للأمْرِ تدفعَنِي لإصطحابك"، أجبتُ "فلقد اجتاحَنِي إكتِئابٌ عظيم، كمَا إنها لا تُمطِر هُنا".

قالَ الرَجُلُ القاسِي الطباع: "ليس في الوقت الحاضر، ولكنِّي ما رأيتُ واحدًا مِنْ هذه الأصباح المُشرِقَة لم يَستَحِل مُمطِرًا فيما بعد وعندما تُمطِر هنا، آه ألَمْ تُفكِّر في هذا؟ ألَمْ يَخطُر في بالِك أنَّهُ بنوعِ المياه الذي يَملُكُونَهُ هنا فستَصنَع كلّ قطرةِ مَطرٍ ثقبًا فيك كرصاصة مدفَع، هذه خدعَتُهُم الصغيرة كما ترى يُغرونَك في البداية بأرضٍ لا يُمكِنُكَ السيرَ عليها، ومياهٌ لا يُمكِنُكَ شُربَها، يحفرُون فيك ثقوبًا بملء جسدك كُلَّه، ولكنهم لن يحصلوا مِنِّي على مُرادِهِم".

ثُمَّ رحلَ بعدها بدقائق قليلةٍ.

الفصل الثامن

جلسْتُ على حجرٍ بجانِب النَهْر شاعرًا ببؤسٍ لم اَختبِرَهُ قَط في حياتي. إلى الآن لم أشُكّ أبدًا في نوايا الرجال الأصلابِ ولا ارتَبْتُ في الصلاح الأكيد لهذه المدينة حتّى وإنْ كُنتُ لا استطيع العيشَ فيها طويلًا. بالطَبْعَ خطرَ لِي ذات مرة إنَّهُ إذا كان هؤلاء الرجال الأصلاب خيِّرِين بقَدْرِ ما سَمِعْتُ واحِد مِنْهُم أو إثنين يزعَم، لكانَ عليهم فِعْل شيءٍ لمساعدة سكان تلك البلدة، شيءٌ أكثر مِنْ مُقابَلتِهِم فقط. والآن قد تَخلَّل عَقْلي تَفسيرٌ مُروِّع.

ماذا إنْ كانوا لا يُرِيدُون صُنْعَ أيِّ خيرٍ بِنَا؟ ماذا إذا كانت الرحلة بأكملها فقط للسخُريةَ مِنَ الأشباح؟ أساطِير وعقائد شنيعة أتَتْ في ذاكرتي. تذكَّرتُ كيف عاقبَتْ الآلهة "تانتَلَس"[١١] وأيضًا ذلك الموضع في سفر الرؤيا الذي يقول أنَّ دُخَّان الجحيم تصاعَدَ للأبد تحت أنظار المُبارَكِين[١٢].

---

[١١] Tantalus هو ابن الإله Zeus في الأساطير اليونانية وتمّ عقابه بعد وفاته (لسرقته طعام وشراب الآلهة المانح الخلود لكلّ من يشربه (ambrosa and nectar) بالنفي خارج الأوليمبس (Olympus وهو مسكن الاثنى عشر إلهًا الأساسيين). وجعله يقف إلى الأبد في بركة ماء أسفل أفرع شجرة فاكهة كلّما حاول قطف ثمرة إزدادت الأفرع في الارتفاع وكلّما حاول أخذ شربة ماء انحسرت المياه في البركة بعيدًا عنه.

[١٢] إشارة إلى (رؤيا ١٤: ١١) ويصعد دخان عذابهم إلى أبد الأبدين.

تذكَّرتُ كيف أنَّ (كاوبر) المسكين وبينما هو يَحلَم أنَّهُ لم يُلعَن للهلاك الأبدي، في النهاية أدرَكَ على حين غُرَّة أنَّهُ حِلْمٌ خاطِئ فقال " هذه هي السِهَامُ الأشرس في جُعبتِهِ".

وما قالَهُ الرجل القاسي الطباع بشأن الأمطار كان بوضوحٍ صحيحًا، حمَّامٌ (shower) حتّى مِنْ قطرات ندى أحد الأفرع قد يُمزِّقَنِي أربًا، لم أفكِّرْ في هذا الأمر مِنْ قَبْل وكيف مِنَ السهل جدًّا أنْ أجِدَ نَفسِي فِي مغامرة إختبار وابل الرذاذ الصادر مِنْ شلال المياه.

استيقَظَ بداخلي الشعور بالخطر والذي لم يَحدُث وأنْ غابَ كليَّةً في مرَّةٍ مِنَ المرات. استيقَظَ بإلحاحٍ حاد، ألقَيْتُ نظرةً حولي على الأشجار والزهور والشلال المُتكلِّم وأخذَتْ تبدو لي كلَّها شريرة بِمَا لا يُحتمَل وتطايَرَتْ بعض الحشرات البرَّاقة ناحيَتِي جِيئةً وذهابًا. إنْ كانَ لواحدة مِنْ هؤلاء أنْ تقفَ على وَجْهِي أفلَنْ تَنفُذَ ثاقبةً إيَّاي؟ وإنْ استقرَّتْ على رأسي أفلَنْ تطرحَنِي أرضًا؟ هَمسَ الرُعبُ بداخِلِي: "هذا مكانٌ لا يُمكِنُكَ العيشَ فيه؟" وتذكَّرتُ أيضًا الأسَدَين.

بدون خطَّةٍ واضحة في عقلي نهضْتُ وترجَّلْتُ مُبتعدًا عن النهر في الإتجاه حيث نَمَتْ الأشجارُ أقربَ مَا يكون مِنْ بعضها البعض.

لم أعقِدْ العزمَ تمامًا على العودة للحافلة ولكنِّي أرَدْتُ تَجنُّبَ الأماكن المفتوحة فقط لو أنَّني استطيع إيجاد طرف الخيط الذي يُثبِت أنَّهُ في الإمكان

حقًّا لَشبحٍ أنْ يبقى - إنَّ هذا الإختيارُ ليس نوعٌ مِنَ الكوميديا السوداء - لَمَا رَجَعْتُ في هذه الأثناء وَاصلتُ السَيْرَ بحرصٍ شديد ويقظَةٍ حادة.

بعدها بنصف ساعة وصلتُ إلى فناءٍ (خالٍ مِنَ الأشجار) به بضعة شجيرات في المنتصف، فتوقَّفْتُ مُتسائلًا إنْ كُنتُ أجرؤ على عبورهِ وأدركْتُ أنَّنِي لم أكُنْ بمفرَدِي.

عَرجَ أحدُ الأشبَاح عَبْر الفناء بأسرع ما أمكَنَهُ فوق التربة العَسِرَة مُتلفِّتًا حوله كالمُطارَد ورأيتُ أنَّهُ كانَ امرأةً، امرأةً مُهندمَة الثياب على ما أظن ولكن ظِلالَ أناقَتِها بدَتْ كريهةً في ضوء الصباح.

كانَت تُجاهِد الإنسلال بين الشجيرات. لم تستطع حقًا المرورَ بينها (إذ كانت الأغصَانُ والأوراق صلبة جدًّا) لكنَّها ضغطَتْ عليها بكل ما أوتيتَ مِنْ قوَّةٍ وبدَت كما لو كانت مُقتنعَة بأنَّها تختبئ هكذا.

لحظات وسَمِعْتُ صوتَ أقدام وظهرَ أحدُ الأشخاص اللامعين، لطالما لاحظَ المَرْءُ أنَّ سيْرَنَا نَحنُ الأشباح لم يُصدِر ضوضاءً أبدًا.

"اذهَبْ عنِّي"، صرخَتْ الشبح: "ألاَ تستطيع أنْ ترىَ أنَّنِي أريِد أنْ أكونَ بِمُفردِي؟".

"ولكنَّك تَحتاجِين المساعدة"، قالَ الرَجُلُ الصَلْب.

"أنْ تبقى بداخلِكَ ذرَّةٌ مِنَ الشعور النبيل"، صرخِتْ الشبح: "ستبقى بعيدًا. لا أحتاجُ المساعدة، أحتاج أنْ أُترَك لحالي. ابتَعِد

عنِّي، أنتَ تعلَم أنَّني لا استطيع الإسراع بما يَكفِي على هذه الأشواكُ المُروَّعة لأهربَ مِنْكَ. أمْرٌ بغيضٌ مِنْك أنْ تقتَرِبَ إليَّ".

قالَ الرُوح: "أوه ذلك، ذلك سيتحقَّق عما قريب ولكنَّكِ تَسلُكِين الإتجاه الخاطئ. للخَلْف نَحو الجبال هو ما تَحتاجين الذهاب إليه، يُمكِنُكَ الاستناد عليَّ طيلةَ الطريق. بالطبع لا يُمكِنَنِي حَمْلَكِ بالكامِل ولكن ما ستحملُهُ قدميكِ بالكاد يكون لا شيء وسيكون الأمر أقلَّ ألمًا خطوة بعد أخرى".

"لا أخشىَ التألُّم، تعرِفُ ذلك".

"فمَا المُشكِلَةُ إذًا؟"

"ألاَ يُمكِنُكَ فَهْم أيِّ شيءٍ؟ أتعتقد حقًا أنَّني سأذهَبُ إلى هناك رفقة أشخاص مِثْل هؤلاء؟"

"ولِمَا لا؟"

"لَمْ أكُنْ لآتِيَ على الإطلاق إنْ عَلِمْتُ أنَّكُم جميعًا سترتَدُون على هذا النحو".

"يا صديقَتِي أنتِي تَرِين أنَّني لا ألبِس شيئًا على الإطلاق".

"لم أقصِدْ ذلك، اذهَبْ عنِّي".

"لكن ألاَ تستَطعِين أنْ تُفهَمِيني؟"

"إنْ كُنتَ لا تفهَم فليس مِنَ المُجْدِي محاولة التوضيح، كيف يُمكنني أنْ أذهبَ وسطَ الكثير مِنْ أجسادِ حقيقيَّة صَلْبة؟ هذا أسوأ بكثير مِنَ الخروج عاريةً تمامًا على الأرض والجميع يُحملِقُون فيَّ".

"أوه، أرى ذلك. كان جميعنا شبحيًا بعض الشيء لَمَّا وَصْلنَا لأوَّل مرَّةٍ أتعلمين؟ سيتلاشى هذا في المستقبل تعالِي وجرَّبِي؟"

"ولكنَّهُم سيرُونَنِي؟"

"وما يَهِمَّ إنْ حدثَ؟"

"سوف أموت بالحريِّ".

"ولكنَّكِ توفيتِ بالفعل ولا خير في محاولة العودة إلى هناك (البلدة الرمادية)؟"

أصدَرَتْ الشبحُ صوتًا بين نشيجٍ وزمجَرَةٍ فقالت: "أتمنَّى لو لَمْ أولَد أبدًا".

"لأي سببٍ نُولَد؟"

"للسعادة الأبدية"، قال الرُوح: "يُمكِنُكِ دخولها في أي لحظة.. .."

"ولكنِّي أقولُ لك سيرونَنِي".

"إذْ مرَّت ساعة لا تعودي تكترثين للأمر وبمرور يوم ستضحكين على ذلك. ألاَ تذكُرين على الأرض. كان ثمةُ أشياءٍ ساخنةٍ جدًّا لم تستطيعي لَمسهَا بأحدِ أصابعك ولكنَّكِ استطعتِي احتساءها بلا مشاكل؟ كذلك الخِزْيُ إنْ تقبَّلتيه - إنْ شَربتِي الفنجان لآخره - ستجدينه مُغذِّي جدًّا ولكن حاولي فِعْلَ أيِّ شيءٍ خلاف ذلك وسوف يكويكي".

"أتقصدُ حقًا؟!" قالت الشبح ثمّ توقَّفَت. بلغَ تشوُّقِي غايتَهُ وشَعَرْتُ كما لو كان مصيري الشخصي مربوط بإجابتها. كنتُ على استعداد أنْ أسقُط على قدميها وأرجوها أنْ ترضَخ.

قال الروحُ: "نعم، تعالي وجرِّبِي".

في الغالِب أطاعَتْ كما أعتقد فلقد تحرَّكَت بالتأكيد ولكنها توقفت فجأة وصرخت:

"لا، لا استطيع، أقول لك لا استطيع، للحظةٍ وبينما كنتَ تتكلَّمُ بالكاد فكَّرتُ... ولكن عندما يحين وقت التنفيذ... ليس مِنْ حقك أنْ تطلُبَ منِّي فِعْل شيء كهذا. أنَّهُ أمْرٌ مُقزِّز. لن أسامِح نفسي أبدًا إنْ فعلت ذلك أبدًا أبدًا. وهذا أمرٌ غَيرُ عادلٍ كان عليهم أنْ يُحذِّرُونَا. لم أكُن لآتِي أبدًا والآن مِن فضلك رجاءً ابتعد عني".

قال الرُوح: "يا صديقتي هلا صوَّبْتِ فكرَكِ للحظة واحدة فقط نَحو شيء آخر غير ذاتِكَ الشخصي ة".

قالت الشَبحُ ببرودٍ ولا تزال مُدمعَةَ العينين: "لقد أعطيتُكَ إجابتي بالفِعْل".

"إذًا لم يتبقَّى سوى وسيلةٍ واحدة"، قال الروحُ وما أعظمُ دهشَتِي حين وضع بوقًا بين شفتيه ونفخ. وضعتُ يدي على أذني وبدا وأنَّ الأرضَ تهتز. ارتعشَتْ الغابَةُ بأكملها مرتعدةً عند سماعها الصوت. اعتقد أنَّهُ كان ثِمَةُ توقُّف (بالرغم مِنْ عدم وجود أي شيء) قَبْل أنْ اسمَع وَقْعَ حوافر مِنْ بعيدٍ في أوَّل الأمْرِ. ولكن أقربُ بالفِعْل قبل أنْ أدرِكَ جيِّدًا ماهيتها وفي الحال اقتربَتْ جدًّا حتّى بدأت أبحثُ عن مكان آمن وقبل أنْ أجِدَ واحدًا كان الخطر مُحدِقًا بِنَا جميعًا. بزغَ سِرْبٌ مِنْ وحيدي القرن مِنْ بين ثنايا الغابة مُرعدِين، بارتفَاعُ سبعة وعشرين ذراعًا لأصغرهم وبِيْض كالبجع عدا البريق الأحمر في عيونهم وأنوفهم، واللون النيلي اللامع في قرونهم. لم يزَل في وسعي أنْ أتذكَّرَ صوتَ سَحْق المضمار الرطب تحت حوافرهم تُحطِّم الشجيرات الصغيرة التحتية، الشخير والصهيل. ارتفعَتْ أقدامهم الخلفية وانْحَنَتْ رؤوسهم في معركة رمزية حتّى تساءلت عندها إلى أيِّ حَرْبٍ حقيقية تَرمُز هذه التمثيلية. سَمِعت الشَبَح تصرُخ واعتقِد أنَّها همَّتْ بالفرار بعيدًا عن الشجيرات... ربما نَحو الروح ولكنِّي لا أعلم إذ خارَتْ قواي

وهربَتُ غير مبال في تلك اللحظة بفظاعة (صعوبة) السير على الأرض وغير متجاسر لأنْ أقِفَ أبدًا. لذلك لم أرى أبدًا نهاية تلك المقابلة.

الفصل التاسع

"إلى أين أنت ذاهب؟"

قال صوت بلهجة اسكتلنديّة قويّة، توقَّفتُ ونظرتُ. لقد اختفى صوت وحيدي القرن منذ زمن بعيد واحضرتني رحلتي إلى منطقة مفتوحة رأيتُ الجبال حيث انبسطت الشمس التي لا تغيب. ورأيت أمامي شجرتين أو ثلاث من أشجار الصنوبر على هضبةٍ مع بعض الصخور الكبيرة الملساء ونبات الخَلَنج.

على الصخور جلس رجلٌ طويلٌ جدًّا، يكاد يكون عملاقًا بلحية إنسيابية. إلى الآن لم اتَطلع إلى أي من الرجال الأصلاب في وجهه أمَّا الآن وإذ فعلتُ ذلك اكتشفتُ أنَّ المرءُ يراهم بنوعٍ من رؤية مزدوجة؛ من ناحيةٍ إله مشرق لابسًا تاجَهُ، لروحه السرمديّة ثقلٌ على روحي كثقل الذهب الصلب، ومع ذلك، في اللحظة عينها، وعلى الناحية الأُخرى، رجلٌ عجوز أبلاه الدهرُ، شخصٌ يُرَجَّح أن يكونَ راعيًّا. كمثل رجل يحسبه السُّياحُ بسيطًا لأنّه صادق بينما يحسبه الجيران عميقًا لهذا السبب عينه، لعينيه نظرةٌ بعيدة المدى كما لرجل عاش طويلًا في أماكنٍ مفتوحةٍ منعزلةٍ، وتخيَّلتُ بطريقة ما شبكة التجاعيد التي كانت محيطة بهما (بعينيه) قبل أن يغسله الميلاد الجديد في حياة الخلود.

قُلتُ: "لا، لا أعرف حقًّا".

قال مُفسِحًا لي مكانًا على الحجر: "إذًا، يمكنك الجلوس والتحدث معي".

قلت وأنا اتَّخِذُ مجلسًا إلى جانبه: "لستُ أعرِفُكَ سيدي".

فأجاب: "اسمي جورج، جورج ماكدونالد[١٣]".

صِحْتُ: "أوه. يمكنك إذًا إخباري فأنت على الأقل لن تخدعني".

وإذ اعتقدتُ أنَّ التعبيرات الدالة على الثقة هذه تحتاج إلى توضيح أخذتُ أُخبره مُرتَعِشًا كلّ ما فعلته كتاباته فيَّ. حاولتُ إخباره كيف كانت ظهيرةٌ مُثلِجةٌ في محطَّة 'ليثرهيد' عندما اشتريتُ نسخةٌ من كتاب 'خيالات' (phantasies) – كنتُ عندها في السادسة عشرة من عمري – كيف كانت بالنسبة لي بمثابة رؤية 'بياتريش' للمرة الأولى بالنسبة إلى 'دانتي'[١٤]. عندها بدأتْ حياتي الجديدة. أخذتُ في الاعتراف بأنَّ هذه الحياة قد تأخَّرَتْ كثيرًا في بقعة التفكير المُجَرَّد، كما أخبرتَهُ كيف أنّني ببطءٍ ومعارضة أتيت إلى الإقرار بأنَّ علاقةَ مسيحيّتِهِ بهذه الحياة الجديدة أكثر بكثير من مجرّد صدفة، وكيف أنّني حاولتُ جاهدًا ألّا أرى أنّ الاسم

---

[١٣] George macdonald (١٨٢٤- ١٩٠٥) أحد أهمّ الكُتّاب المسيحيّين في بريطانيا وأثّرت كتابته في عدد من كُتّابٍ عظماء مثل C. S. lewis و G. K. Chesterton وأهمّ هذه الكتابات كتاب phantasies (خيالات) و princess and the goblin (الأميرة والعفريت).

[١٤] اقتباس من كتاب الكوميديا الإلهيّة لدانتي.

الحقيقيّ للمَزَّية الأولى التي قابلتني في كتاباتهِ هو القداسة. فوضع يده على يدي واستوقفني قائلًا:

"يا بنيَّ إنَّ حُبَّكَ – بأكمله – لذو قيمةٍ لا يُعَبَّر عنها بالكلمات بالنسبة لي ولكن سَيَدَّخر لنا وقتًا ثمينًا إنْ أخبرتكَ بأنّي على علمٍ جيّدٍ بهذه التفاصيل الشخصيّة، وفي الحقيقة لاحظتُ أنَّ ذاكرَتُكَ خانتكَ في أمر أو اثنين".

"أوه"، قلتُ ذلك وجلستُ ساكنًا.

قال مُعَلِّمي: "لقد بدأتَ حديثَك بشيء أكثر نفعٍ من هذا".

قلتُ: "يا مُعلمي، بالكاد نسيتُ ولستُ قَلِقًا البتَّة الآن حيال الإجابة وإن احتفظتُ مع ذلك ببعض الفضوليّة. إنَّه أمرُ هذه الأشباح. هل يمكن لأي منهم أن يبقى؟ هل يستطيعون البقاء؟ أمِن ثمَّة أي اختيار حقيقيٍ مُعْطَى لهم؟ وكيف أمكنَ أن يكونوا هُنا؟"

"هل سمعتُ قطُّ عن 'تجديد الحيويّة'[١٥]؟ رجلٌ بملكاتك من الوارد أن يكونَ قرأ عنها في أعمال 'برودنتس'[١٦]. حتّى لا نذكرُ 'جيريمي تايلور'".

"المُسَمَّى مألوفٌ بالنسبة لي يا سيدي. ولكنّي أخشى أنّني قد نسيتُ ماذا يعني".

"يعنى أنّ الأرواح الهالكة تأخذُ أجازات أو نزهات خارج المسار، أتفهم؟"

"نزهات إلى هذه لمدينة؟"

" هيَ نزهات بالنسبة لمن سيقبلونها، بالطبع معظم المخلوقات الحمقى لن يقبلوها بل سَيُحَبِّذونَ القيام برحلات عودة إلى الأرض، يقومون ببعض الخِدَع والتلاعب بالنساء المسكينات الحمقاوات اللائي تدعونهن وسيطات (أي عرَّافات) أو ليؤكدوا ملكيّتهم لبعض المنازل التي كانت لهم في يوم من الأيام وينتج عن ذلك البيوت المسكونة. أو يتجسّسون على

---

[١٥] Refrigerium استخدِمَت قديمًا بمعنى وجبات تُقام في المقابر من أجل الموتى ثمّ وصِفت بعدها بواسطة العلامة ترتليان بأنّها رحلات يقوم بها المُخلّصون في الفردوس من أجل تجديد الحيويّة أثناء انتظارهم لليوم الأخير.

[١٦] Prudentius (٣٨٤ — ٤١٣ م) شاعر مسيحيّ في روما القديمة.

أبنائهم، أمَّا الأشباح الأُدباء فيتسكَّعون في المكتبات العامّة ليروا ما إذا كان أي أحد لا يزال يقرأ كتبهم".

"ولكن إن أتوا إلى هُنا أيمكنهم البقاء حقًّا؟"

"نعم وستسمع أنَّ الامبراطور 'تراجان'[١٧] قد بقيَّ بالقعل".

"ولكني لا أفهمُ. أليس الحكم نهائيًّا؟ أحقًّا هُناك طريقُ خروجٍ من الجحيم إلى السموات؟"

"يعتمد هذا على طريقة استخدامك للألفاظ. فإن تركوا تلك البلدةَ الرماديّة خلفهم فلن تكون جحيمًا عندها بل تصبح المَطْهَر[١٨] لكلّ من يُغادرها. وربّما حريٌّ بكَ ألَّا تدعو هذه المدينة السموات، فهيَ ليست السموات الحقيقيّة (العميقة) أتفهم؟" وهُنا ابتسم: "يمكنكَ دَعوتَها وأدّى ظلّ الحياة ومع ذلك فهيَ بالنسبة لمن سيبقون هُنا 'السموات' من البداية ويمكنكَ أيضًا دعوة تلك الشوارع الحزينة في البلدة هناك وادي ظلّ الموت

---

[١٧] Trajan (٥٣- ١١٧ م) أحد أشرس وأعظم الأباطرة الرومان ووصلت الامبراطورية الرومانية في عهده إلى أكبر توسّع لها اشتهر بشراسته في الحرب وولعه بالتوسع المعماريّ.

[١٨] Purgatory ويناقش هُنا عقيدة المطهر حيث تَتَنَقَّى الأرواح المُخَلَّصة بالفعل من الخطايا التي تناستها على الأرض قبل الدخول إلى السماء.

ولكن لمن سيبقون هُناك فلقد كانت (تلك الشوارع) جحيمًا حتّى من البداية".

واذ رآني مُشَوَّشًا على ما أظن تحدَّثَ ثانيةً، وقال:

"يا بني: لا يُمكنكَ وأنت في طبيعتك الحاضرة أن تفهم الأبدية، فعندما نظر 'أنودوس'[١٩] إلى الوراء عبر بوابة السرمديّة، لم يجلب معه أي رسائلٍ. ولكن قد تَحصلَ على بعض المشابهة التي تُقَرِّبُ المعنى إن قلتَ إنَّ الخير والشرّ في اكتمالهما يتخلَّلان الماضي (ذو أثر رجعيّ)[٢٠]. ليس فقط هذا الوادي بل أيضًا الماضي الأرضي كلَّه سيستحيل إلى 'السموات' لأولئك المُخَلَّصين. وليس فقط الغَسَق في تلك البلدة ولكن حياتهم على الأرض أيضًا سَتُرَى بأعين الهالكين 'جحيمًا' من البداية. هذا ما يُخْطئ الفانون في فهمه فيقولون عن معاناة مؤقتَة 'ما من بركة مستقبلية يمكن أن تمحوها'، غير عالمين أنَّ السموات ما أن ظفرنا بها ستعمل إلى الوراء وتُحَوِّل حتّى الكربِ إلى مجدٍ. ويقولون عن استمتاعٍ بالخطية 'لأفعل هذا وأتَحمَّل العواقب' غير مُتَخَيِّلين كيف سينتشر الهالك الأبديّ إلى الوراء مصيبًا

---

[١٩] Anodos هو بطل رواية جورج ماكدونالد (خيالات).

[٢٠] في الأصل retrospective.

حتّى لذَّة الخطية. كلتا العمليتين تبدآن الآن قبل الموت؛ فماضي الرجل الصالح يأخذ في التَغَيُّر حتّى أنَّ خطاياه المصفوح عنها وأحزانه الراسخة في ذاكرته يكتسيان حُلَّة سماويّة وماضي الرجل الشرير يتطابق بالفعل مع شَرِّه فلا يحتوي إلَّا على الوَحْشَة التي تملأه بالكامل ولهذا فعند انقضاء الدهر عندما تشرق الشمس ويتَحَوَّلُ الغَسَق ظلامًا هناك سيقول المباركون 'لم نعشْ قطُّ في أي مكان سوى السموات' فيما يقول الهالكون: 'لقد كُنَّا دائمًا في الجحيم'، وجميعهم صادقون فيما يقولون".

"أليس هذا قاسيًا سيدي؟"

"أقصد أنَّ هذا هو المضمون الحقيقي لما سيقولون، ولكن ستختلف الألفاظ بلا شك في اللغة الفعليّة التي سيستخدمها الهالكون. فيقول أحدهم 'لطالما خدمتُ وطني على حقٍ كان أم باطل'[٢١] ويقول آخر أنَّه ضَحَّى بكل شيء في سبيل فَنِّه، ويقول آخرون أنَّهم لم يُقْبَلوا أبدًا بينما آخرون أنَّهم – والشكر لله – لطالما اعتنوا بالأفضل[٢٢]. وتقريبًا جميعهم سيقولون بإنَّهم على الأقل كانوا صادقين مع أنفسهم".

---

[٢١] يقصد خدمة الوطن حتّى في الطغيان والاستعمار.

[٢٢] أي الأفضل بين والناس واهملوا الفقراء أنظر (يعقوب ٢: ٣).

"وماذا عن المُخَلَّصين؟"

"آه المُخَلَّصون. إنَّ أفضل وصفٍ لما سيحدث لهم أنّه مضاد (opposite) السراب فما بدا لهم (عندما اجتازوا بداخله) وادي البؤس يتحوَّل عندما يعاودون النظر ليظهر أنَّه كان بئرًا. وبينما رأتْ خبرتهم الحاضرة فقط صحاري مالحة سجَّلَتْ ذاكرتهم بصدق إنَّ البِرَكَ (جمع بركة) كانت ممتلئة بالماء".

"فأولئك إذًا مُحِقُّون الذين يقولون بإنَّ 'الجحيم' و'السموات' هما حالات نفسيّة (مزاجيّة)[٢٣]؟"

"صه"، قال معلمي بصرامةٍ: "لا تُجَدِّف؛ الجحيم حالةٌ مزاجيةٌ. لم تقل قطُّ ما هو اصدق من هذا وكلّ حالة ذهنية إن تُرِكَتْ لذاتها، وكلّ إنغلاق للإنسان داخل قبو عقله لهو في نهاية المطاف 'جحيمٌ'. لكن 'السموات' ليست حالة ذهنيّة فهيَ الحقيقة ذاتها وكلّ ما هو حقيقيّ بالكامل 'سماويّ'، فكلّ ما يمكن غربلته سَيُغَربل وفقط غير القابل للغربلة سيبقى".

"ولكن هل يُطْرَح خيار حقيقيّ بالفعل أمام الإنسان بعد الموت؟ إذ سَيُصْدَم أصدقائي الرومان الكاثوليك فبالنسبة إليهم، الأرواح الموجودة في المطهر هيَ مُخَلَّصة بالفعل. أمَّا أصدقائي

---

[٢٣] في الأصل state of mind ويقصد أنّها ليست ملموسة بل يضع الإنسان نفسه فيها.

البروتستانت فلن يُرَوقَهم آلام أكثر إذ يؤمنون بأنَّ الشجرة تستلقي حيثما تقع[٢٤]".

"قد يكون كلاهما محقًّا. لا تُشَوِّش نفسَكَ بأسئلةٍ من هذا القبيل فلا يُمْكِنُكَ فَهم العلاقة بين الاختيار والزمن إلى أن تسمو فوق الاثنين ولم تُجْلَب إلى هنا لدراسة هكذا غرائب. ما يهمك هو طبيعة الخَيار نفسه وأنَّه بمقدورك رؤيتهم يتَّخِذُوَنه".

قلت: "حسنًا سيدة. هذا يحتاج لشرح أيضًا، فأي شيء تختار تلك الأرواح التي ترجع إلى البلدة – إلى الآن لم أرى غيرهم– وكيف يختارونه؟!"

"كان ملتون مُحِقًّا"، قال مُعَلِّمي: "إنّ اختيار كلّ روح هالكة يمكن وصفه بالكلمات: 'إنّ تَحْكُمَ في الجحيم خير من أن تخدم في السموات'[٢٥] **ودائمًا ما يوجد شيء يُصِرّون على الابقاء عليه حتّى وإن كان البؤس ثمنه.** دائمًا ما يوجد شيء يُفَضِّلونه عن سعادتهم وهو ما تراه في الواقع بسهولة في طفلٍ مُدَلَّل قد يُفَضِّلَ أن يفوته اللعب والعشاء (أي أن يُحرَم منه) على أن يتأسَّف فيعودون أصدقاء مجدَّدًا. تُسَمَّى ذلك 'نكديّة' لكن في

---

[٢٤] إشارة إلى العقيدة الكالفينية القائلة بإنّ الإنسان مُسَيَّر ومصيره مُحَدَّد من قبل ميلاده حتى.

[٢٥] اقتباس من الفردوس المفقود.

حياة البالغين فله مئات من الأسماء؛ جَلال 'الغضب وكوريولانوس' أخيلس[٢٦]، الانتقام، الأنا المجروحة، احترام الذات، العظمة المأسويّة والكبرياء المناسب". [٢٧]

"لا أحد يهلك من الخطايا غير الوقورة (المُخجِلة) سيدي؟ من الشهوانيّة البحتة؟"

"بلا، هناك بلا شكٍ، فالشهوانيّ – سأوافقك المعنى – يبدأ في طلب متعة حقيقيّة ومع أنّها صغيرة فخطيئته أصغر ولكن يأتي وقت عندما يُفَضِّلُ – مع أنّ المتعة تصبح أصغر فأصغر والشهوة أشرس فأشرس وبالرغم من علمه بأنّ السعادة لن تأتي هكذا – التَحَرُّقَ البحتَ بالشهوة الهائجة على السعادة ولا يسمح أبدًا لأن تُؤْخَذَ منه. سيقاتل حتّى الموت للاحتفاظ بها. سيحب أن يكون قادرًا على الخربشة ولكن حتّى إنْ أصبحَ لا يستطيع الخربشة سَيُفَضِّل الهرش على عدمه".

ولزم الصمت لبضعة دقائق ثمّ استطرد:

---

[٢٦] 'كوريولانوس' هي مسرحية تراجيديّة لشيكسبير يحمل بطلها نفس الاسم وهو جنرال رومانيّ نجح في إخماد العديد من الانتفاضات ضد المملكة الرومانية ولكنه تحوَّل لطاغية يُسَيِّر الأمور حسب هواه مما أدّى إلى كثرة الانتفاضات ضده حتّى آلت إلى سقوطه.

[٢٧] أي أنّهم قد يُضَحّون بالسعادة من أجل الكبرياء أو الانتقام كالطفل الصغير.

"سوف تفهم. هناك أشكالٌ لا حصر لها من الاختيار هذا. وفي بعض الأحيان، أشكال بالكاد يُفَكِّر فيها الإنسان على الأرض. منذ زمن ليس ببعيد أتى إلى هُنا مخلوقٌ ثمّ عادَ، يدعونه السيد 'أرخيبالد' خلال حياته على الأرض، لم يولِ أي شيء اهتمامًا عدا النجاة[٢٨] فلقد كتب عنها رفًّا كاملًا من الكتب. بدأ بالناحية الفلسفيّة ولكن انتهى به الأمر بأخذ أبحاث ما يفوق العقل (psychical) وأخذ الموضوع في النمو ليصبح شغلَه الشاغل، مجريًا تجاربه ومُلقيًا محاضراته، مديرًا لمجلة ومسافرًا أيضًا ليُنَقِبَ عن قصص غريبة بين سكان '(هضبة) التِّبتّ' ولاماتها[٢٩] ومتخلِّلًا جماعات أخويّة في إفريقيا الوسطى. أدلةٌ وأدلةٌ وأدلةٌ هيَ كلّ ما أراد، إن رأى أي أحد مهتم بشيء آخر جُنَّ جنونُه. أقْحَمَ نَفسَه في المشاكل عندما جِابَ المدينةَ كلّها صعودًا ونزولًا خلال واحدةٍ من حروبكم مطالبًا الناس بعدم الحرب إذ تُهْدِرُ مالًا كثيرًا كان حريٌّ به أن يُنْفَقَ على البحث. حسنًا، في وقت مناسب مات المخلوقُ المسكين وأتى إلى هنا وما من قوة في الكون كانت لتمنعه من البقاء والذهاب إلى

---

[٢٨] يقصد النجاة من الهلاك الأبدي.

[٢٩] جمع لاما وهو راهب بوذي.

الجبال ولكن أتعتقد أن هذا نَفَعَه في أي شيء؟ لم تصلح هذه المدينة لأي شيء بالنسبة له فكلّ واحد هنا قد 'نجا' بالفعل فلم يهتم أي أحدٍ بموضوعه، لم يعد هناك شيءٌ آخرٌ للإثبات فعمله بالتأكيد انتهى. إن اعترف فقط بأنَّه ضلَّ الطريق إلى غايته وضَحِكَ (سخر) من نفسه لاستطاع أن يبدأ من جديد كطفلٍ صغير ويدخل إلى الفرح. ولكنه لم يفعل، لم يَكْتَرِث شيئًا بشأن الفرح وفي النهاية رحل".

قلت: "يا للعجب".

وقال المعلم بنظرة ثاقبة: "حقًا؟ إنَّ الأمر لأقرب مما تتصوَّر لشخصٍ مثلك. كان هناك أُناسٌ في الماضي اهتمُّوا جدًّا بإثبات وجود الله حتّى أنهم لم يُعْطوا ذرةَ اهتمام لله نفسه وكأنَّ الربَّ الصالح ليس لديه ما يفعل سوى أن يُوجَدَ. كما انشغلَ آخرون كثيرًا بنشر المسيحيّةَ حتّى لم يُفَكِّروا قطُّ في المسيح. يا رجل تراها في الأمور الصُغرى. فهل سمعت عن عاشق للكتب بكلّ إصداراته الأولى ونسخه المُوَقَّعة لم يعد يقوى على القراءة؟ أو مدير منظمات خيريّة قد فَقَدَ كلّ حبَّه للمساكين؟ إنّها الخدعة الأكثر تخفيًّا على الاطلاق".

منقادًا برغبة في تغيير الموضوع، تساءلتُ: لماذا لا ينزل الأشخاص الأصلاب – بما أنّهم مليؤون بالحبّ – لأسفل إلى الجحيم لِيُخَلِّصوا الأشباحَ؟! لماذا يَسْعَدون (أي يكتفون) بمقابلتهم على هذا البُساط؟! إنَّ المرء لَيَتوقَّع فعلًا خيريًّا أعنف.

قال: "على نحو أفضل ستفهم ذلك، ربّما قبل أن تُغادِر، وفي الوقت الحالي يتحتَّم عليَّ أن أُخبرك بأنَّهم لأجل الأشباح قد ذهبوا لأبعد مما يمكنك استيعابه فكلّ مِنَّا يعيش فقط للارتحال أعمق فأعمق في الجبال وكلّ مِنَّا قد قطع ذلك الارتحال ليرجع مسافات لا تُقاسُ للمجيء إلى هنا اليوم في فرصة لإنقاذ بعض الأشباح. إنَّه لَسرورٌ بالطبع فعل ذلك ولكن لا يمكنكَ لَومِنا على ذلك (عدم النزول إلى الجحيم) ولن يُجْديَ نفعًا إنْ ذهَبْنا إلى أبعد من ذلك. **فالعاقل لا ينفع شيئًا إن جَعَلَ نَفسَهُ مُخْتَلًّا لأجل مساعدة المُخْتَلّين**".

"لكن، ماذا عن المساكين الذين لم يَصْعَدوا الحافلةَ قطُّ؟"

"لا تَخَف أبدًا، كلّ من يتمنى سيحصل على ذلك. **في النهاية هناك نوعان فقط من الناس؛ هؤلاء الذين سيقولون لله: 'لتكن**

مشيئتك'[٣٠]، وأولئك الذين سيقول لهم الله: 'لتكن مشيئتكم'، جميع من في الجحيم يختارونه فبدون الاختيار الشخصيّ ليس هناك جحيمًا. ما من روح تشتهي الفرح بجدِّية وباستمرار لن تَحْصُلَ عليه فالذين يطلبون يجدون والذين يقرعون يُفتَحُ لهم".

[٣١]

في هذه اللحظة قوطِعنا فجأة بصوتٍ رفيع لشبحٍ تسير بسرعةٍ هائلة. تَلَفَّتنا إلى الوراء فرأينا المخلوقة. كانت تُخَاطِب أحدَ الأصلاب وفعلتْ ذلك بإنكباب كبيرٍ حتّى أنَّها لم تُلاحِظنا. حاول الروحُ الصلب بين الفينة والأخرى أن يقولَ كلمةً ولكن هباءً.

أمَّا حديث الشبح فكان هكذا: "أوه يا عزيزي لقد مَرَرتُ بوقتٍ شنيع ولست أعلم على الاطلاق كيف وصلتُ إلى هنا، لقد كنتُ آتيةً برفقة 'إليانور ستون' وقد رَتَّبنا الأمر بأكمله. كُنَّا لنتقابل عند زاوية شارع 'سِنْك'. ولقد جعلت الأمر واضحًا تمامًا لأني أعرف طبيعتها ولقد أخبرتها بدل المرة مئة مرة بأنّني لم أكن لأقابلها خارج ذلك المنزل المُرَوِّع للسيدات في شارع

---

[٣٠] متى ٦: ١٠.

[٣١] متى ٧: ٨.

'مارچوري بانكس'[٣٢] ليس بعد الطريقة التي عاملتني بها. كان ذلك أحد أشنع الاشياء التي حدَثَتْ لي لقد كنتُ أتَحَرَّق شوقًا لإخبارك لأنّي كنتُ متأكدة من أنَّك ستقول إنّي كنتُ على حقٍ. لا انتظرْ لحظة عزيزي إلى أن اخبِرُكَ؛ حاولت أن أتعايش معها ما أن وصلتُ وتمَّ الاتفاق على كلّ شيءٍ، تَكَفَّلتْ بأعمال الطهو بينما أخذتُ أنا العناية بالمنزل، ولقد اعتقدتُ أنّني سأجد الراحة بعد كلّ ما مَرَرتُ به، ولكنها تعَيَّرتْ كثيرًا بالتأكيد إلى الأنانيّة بلا ذرّة شفقة على أي أحد عدا نفسها، وكما قُلتُ لها ذات مرةٍ: 'إنِّي استحقُ بعضًا من الاهتمام لأنَكِ على الأقل تَمَتَّعتِ بحياتكِ على الأرض، أمَّا أنا فلم يكن عليَّ أن أعيش هُنا لسنوات وسنوات'. لكني بالطبع أنسى أنَّكَ لا تَعْلَم. إنني ببساطةٍ قُتِلتُ ببساطة قُتِلتُ يا عزيزي. كان على ذلك ألَّا يَفعلَ فعلَتَه أبدًا، وكان يجب أن أكون حيَّةً إلى اليوم. لقد جعلوني ببساطة أموت جوعًا في منزل التمريض المُرَوِّع ولم يقترب إليَّ أحدٌ.. ".

---

[٣٢] شارع في باثجيت (Bathgate) في بريطانيا.

وتلاشى النحيب الصاخب ذو الوتيرة الواحدة إذ ابْتَعَدَتْ المتكلمة – ولا تزال مصحوبة بالشخص اللامع الصبور – عن مسامعنا.

"أي شيء يُعْثِرُكَ يا بنيَّ؟" تساءل معلمي.

قلت: "مُعْثِرٌ لأنَّ تلك المخلوقة التَعِسة لا تبدو ضمن ذلك الصنف من الأرواح التي تواجه خطر الهلاك، فهي ليست شريرة، إنَّها فقط حمقاء، امرأةٌ عجوزٌ ثرثارٌ قد انخرطتْ في عادة التذَمُّر وإنَّ المرءُ لَيشعر أنَّ قليلًا من الحنان والراحة والتغيير كفيلٌ بأنْ يَضَعها على الطريق الصحيح تمامًا".

"ذلك ما كانت عليه ذات يومٍ وربَّما ما هيَ عليه الآن. وإنْ كانتْ، فستُعالَجُ بالتأكيد، ولكن بيت القصيد هو: 'هل هي الآن مُتَذَمِّرة'؟"[٣٣]

"أعتقدُ أنَّه ما من شكٍ في هذا".

"نعم لكنك أسأت فهمي، السؤال هو ما إذا كانت مُتَذَمِّرة أم فقط تَذَمُّر[٣٤]. إنْ وُجِدَتْ امرأةٌ حقيقيةٌ – أو حتّى ذرة واحدة فقط منها – داخل ذلك التَذَمُّر فيمكن إرجاعها إلى الحياة مجدّدًا. إن وجِدَتْ شرارةٌ ولو ضئيلة جدًّا تحت كلّ ذلك الرماد سَتُنفخُ

---

[٣٣] أي كثيرة التَذَمُّر.

[٣٤] أي حالة من التذمر a grumble.

حتّى تصبح الكومة كلّها حمراء ويتلاشى الرماد ولكن إن لم يكن هُناك شيءٌ سوى الرماد فلن ننفخه في أعيُننا إلى الأبد. لأبد وأنْ يزال".

"ولكن كيف يمكن أن يوجد تَذَمُّر بدون شخصٍ مُتَذَمِّر"؟

"إنَّ الصعوبة بالكامل في فهم الجحيم هيَ أنَّ الشيء الذي يجب فهمه هو بالكاد لا شيء ولكنك ستكتسب الخبرات فيما بعد... **فالأمر يبدأ بحالة مزاجيّة من التَذَمُّر ولكن ذاتك لا تزال مُنْفَصِلة عنه (عن ذلك التَذَمُّر) وربما تنتقده. وقد تَرغَبَ نَفسُكَ في ساعة مُظلِمة في تلك الحالة المِزاجية وتَحْتَضِنُها. يمكنك التوبة والخروج منها ولكن قد يأتي يومٌ لا تعود تَقدِرُ على ذلك (على التوبة) وعندها لن يتبقى منك شيء لينتقدها أو حتّى يستمتع بها. فقط التَذَمُّر مستمر إلى ما لانهاية مثل الآلة.** لكن تعالْ فأنت هنا لتشاهد وتسمع استند على ذراعي ولنذهب في جولة صغيرة معًا".

فأطَعْتُ، أنْ استندُ على ذراعِ شخصٍ أكبر منِّي سنًّا كان بمثابة تجربة أعادتني إلى عهد الطفولة وبفضل هذا التعضيد وَجدتُ السيرَ مُحْتَملًا بل مُحْتَملًا جدًّا بالتأكيد حتّى اخْتَلتُ بذاتي وأخَذْتْ قدماي تنمو بالفعل أكثر صلابةٍ إلى أن أقنعتني نظرةٌ على الأشكال الشفافة المسكينة (الأشباح) بأنني

أدين بكلّ هذه السهولة لِذراع معلمي القويّة. ربما بسبب وجوده أيضًا أن جميع حواسي بدَتْ أسرع.

لاحظتُ روائحًا في الجو قد فاتتني قبل هذه اللحظة واكْتَسَتْ المدينة بأشكالٍ جديدة من الجمال؛ كانت المياه في كلّ مكان، تراقصتْ الزهور الصغيرة في النسيم المُبَكِّر. وفي الأُفق البعيد في الغابات رأينا الأيائل تلمع في الأمام، وفجأة أتى نمرٌ أسودٌ أملسٌ إلى جانب رفيقي مُصْدِرًا خرخرةً (صوت الهرّرة)، ورأينا أيضًا العديد من الأشباح أكثرهم إثارة في اعتقادي كانت شبحًا أنثى، كانت مشكلتها العكس تمامًا لتلك التي ابتَلَتْ الأُخرى. ارتعبت المرأة من وحيدي القرن. بدَتْ هذه جدّ غير واعية بهيئتها الوهمية (unsubstantial) حاول أكثر من واحد من الأشخاص الأصلاب التحدُّث إليها، وفي البداية لم أقدرْ أن أفهم سلوكها تجاههم جيّدًا. بدَتْ تُراقِص كامل وجهها غير المرئيّ وتجعل جسدها الشبيه بالدُخان يتلَوَّى بأسلوبٍ عبثي، وأخِر الأمر وصلتُ إلى استنتاجٍ، مُذهلٍ بقدر ما كانت هيَ، أنَّها اعتقدتْ بأنَّها ما زالت قادرة على إغرائهم فكانت تحاول فعلَ ذلك. لقد كانت شيئًا ما غير قادرٍ على قبول أي مناقشة إلَّا للوصول لهذه الغاية. لو قامت جثَّةٌ رخوةٌ (liquid) قد أنتنت من القبرِ ولطَّخَتْ فمها بأحمر شفاه وحاولتْ المغازلةَ لَمَا كانت النتيجةُ أبشعَ من ذلك، وفي الأخير تمتَمتْ: "مخلوقاتٌ غبيةٌ" وتحَوَّلَتْ راجعةً إلى الحافلة.

اقتادني هذا الأمر لسؤال مُعَلِّمي عَمَّا يعتقدُ في أمر وحيدي القَرن، فقال:

"قد تَنجَح (وحيدي القرن) في مُهِمَّتها، لقد تَكهَّنتَ بالطبع أنَّه (ذلك الروح الذي استدعاها) قَصَدَ إخافتها وليس هذا الخوف بقادرٍ أن يُخَفِّفَ من طبيعتها الشبحيّة (make her less a ghost) ولكن إن أخرجها ولو للحظة خارج دائرة التمركُز حول ذاتها ففي تلك اللحظة عينها قد تُوجَدُ فرصة، ولقد رأيت بَعضُهم يُخَلَّص بهذه الطريقة".

وصادَفْنا أشباحًا كُثُر أتوا بالقرب من السموات ليخبروا السمائيّين عن الجحيم. بالتأكيد هذا هو النوع الأكثر انتشارًا وآخرون ربّما كانوا – مِثْلي – مُعَلمين من نوع ما أرادوا في الواقع أن يلقوا محاضرات في السماء فجلبوا معهم مُفَكِّراتٍ سمينة مليئة بإحصائياتٍ وخرائطٍ – واصطحب أحدهم – مصباح سحريّ. أراد البعض أنْ يَقُصَّ حواديت عن خُطاةْ سيئي السمعة (مَفضوحين)[٣٥] من مُختَلَف الأعمار قابلوهم في الأسفل ولكن بدَت الأغلبية كمن اعتقد أنَّ حقيقة جلب بؤس جَمٍ – من صنعتهم هم – لذواتهم قد منَحَهم أفضليةً من نوعٍ ما. صاحوا قائلين:

---

[٣٥] Notorious في الأصل.

"لقد عِشتم حياة ظليلة. لا تعرفون شيئًا عن الجانب القبيح. سَنُطلِعَكم عليه وسَنُعطيكم بعضًا من الحقائق القاسية".

كما لو كان إبْهَاتُ السماء بصورٍ وألوانٍ جُهَنَّمية هو الغرض الوحيد لمجيئهم. الجميع متشابهون الآن بقدر ما سمح لي استكشافيّ للعالم السفليّ أن أحْكُمَ. لا يُعْتَمدُ أبدًا عليهم وكُلُّهم بلا فرقٍ غير مُكْتَرثين بالمدينة التي وصلوا إليها، نَفَروا من كلّ محاولةٍ لتعليمهم وإذ لم يجدوا أحدًا ليسمعهم رجعوا واحدًا تلو الآخر إلى الحافلة.

ومع ذلك أضحَتْ تلك الرغبة الغريبة في وصف الجحيم أخَفَّ أشكال رغبةٍ شائعةٍ جدًّا بين الأشباح ألا وهيَ توسيع الجحيم وجلبه فعليًّا إن أمكن داخل 'السموات'. كما كان هُناك أشباحٌ غوغائيّون استحثّوا بصوتهم الرفيع الشبيه بصوت الخفافيش الأرواحَ المُبارَكةَ أن يَطرَحوا الأغلال عن ذواتهم ويهربوا من حبستهم بداخل السعادة وأن يهدِموا الجبالَ بأيديهم وأن يوقفوا الجحيم 'لِمَصلَحتِهم'. **إنَّ الجحيم يَعرِضُ مُساعدته**. كان هُناك أيضًا أشباحُ مُخَطِّطين توسلوا إليهم (إلى سُكان السماء) أن يردموا النهر ويقطعوا الأشجار ويقتلوا الحيوانات ويبنوا سككًا حديديّة ضخمة وأن يُذَلِّلوا العُشبَ والطحالب ونبات الخلنج بالأسفلت. وُجِدَ أيضًا أشباحٌ ماديّون (materialistic) أخبروا الخالدين بأنَّهم قد خُدِعوا وأنَّه ما من حياة بعد الموت وهذه المدينة بالكامل ما هيَ إلّا تهيؤات. وأيضًا

كان هُناك أشباح عاديّين وبُسطاء، بعابع (bogies) ليس إلّا. واعين تمامًا بحالتهم المُتَعَفِّنة والذين قبلوا وظيفة الأشباح التقليديّة وبدوا آملين في إخافة بعض الأشخاص. لم يخطر ببالي أبدًا أنَّ رغبةً كهذه ممكنةٌ، ولكن ذكَّرَني مُعَلمي أنَّ لذَّة أن تُرعِبَ الآخرين، ليست مجهولة على الأرض كما ذَكَّرَني بقول 'تاسيتوس'[٣٦] 'إنَّهم يُرْعِبون خشية أنْ يرتعبوا هم أنفسهم'.

عندما تجد بقايا روح مُتَحَلِّلة نفسها مُهَشَّمة في تلك الطبيعة الشبحيّة وتدرك التالي: "أنا ذاتي ما تخشاه البشريّة كلّها. ما أنا إلّا ظلال المقابر المُوحِشَة، أنا ذلك الشيء الفظيع الذي لا يقدر أن يكونَ أي شخصٍ ولكنه كذلك رغم كلّ شيء'. وعليه فإنَّ تَرويع الآخرين يظهر له كمهربٍ من هلاكِ كونه شبحًا لا يزال يخشى الأشباح حتّى ذاته. إذ أن يخشى المرء ذاته لهو الرعب الأخير (قبل الفناء).

لكن بعيدًا عن كلّ هؤلاء، رأيتُ أشباحًا أُخرى مُنَفِّرة بقيتْ بداخلهم بقايا ضئيلة جدًّا من طبيعتهم الآدمية، وحوشًا واجهوا الرحلة إلى محطة تَوَقُّف الحافلة – والتي وصلتْ ربما إلى آلاف الأميال – وأتوا هنا إلى 'مدينة وادي ظلّ الحياة'، وتَعَمَّقوا بداخلها فوق العشب المُعَذِّب فقط لكي يبصقوا ويُصَرِّخوا في نشوة مشتركة من الكراهية بحسدهم و– الأصعب

---

[٣٦] Tacitus (٥٦ – ١٢٠ م) مؤرخ وسيناتور في المملكة الرومانية القديمة.

على الاستيعاب – احتقارهم للفرح. لقد حسبوا الرحلةَ ثمنًا بَخسًا إن استطاعوا لمرة، لمرة واحدة فقط – وسط مشهد ذلك الفجر الأبديّ – أن يُخبروا المُتَصَلِّفين والمتحذلقين والمُرائين المُخادعين والمتكَبِّرين و'الأغنياء' أن يخبروهم بحقيقة رأيهم فيهم.

سألتُ معلمي: "كيف أمكنهم أن يأتوا إلى هنا من الأساس"؟

أجاب: **"لقد رأيتُ ذلكَ النوع يتغيَّر (يَخْلُص) فيما عاد (إلى البلدة) مَنْ اعتَقَدتُ أنَّ لعنتهم أهون. أولئك الذين يكرهون الصلاح يكونون في بعض الأحيان أقرب (للسموات) من أولئك الذين لا يعرفون شيئًا عنه ويَدَّعون حيازته".**

"صه"! قال معلمي فجأةً! وقفنا بالقرب من بعض الشجيرات ورأينا خلفها أحد الأشخاص الأصلاب، وشبحًا يظهر أنّهما قد تقابلا للتو. بدَت ملامح الشبح مألوفة بشيء من الغموض، ولكن أدركتُ عاجلًا أنَّ ما رأيته على الأرض لم يكن الرجل ذاته، بل صورًا فوتوغرافيّةً له في صحيفة. لقد كان فنانًا مشهورًا.

قال الشبح مُلقيًا نظرة على المنظر حوله: "يا الله"!

فتساءل الروح: "الله ماذا"؟

فتساءل الشبح: "ماذا تعني بـ 'الله ماذا'؟

"في لغتنا 'الله' هو اسم".

"نعم فهمتُ. قصدتَ فقط 'يا للهول' أو شيء من هذا القبيل، أعني... حسنًا كلّ هذا هو... هو... أودُّ أن أرسم هذا المشهد".

"لو كنتُ مكانَكَ لَمَا انشغلت بهذا الأمر".

"انظر هُنا. لن يُسمَح للمرء أن يُباشِرَ الرسم هنا"؟

"المشاهدة أوّلًا".

"ولكنّي ألقيتُ نظرةً بالفعل. رأيتُ ما أريد يا إلهي ليتني تَذَكَّرتُ إحضار أدواتي معي".

هزَّ الروحُ رأسه مُبَعثِرًا الضوء من شعره، وقال: "ذلك النوع من الأدوات لا ينفعُ شيئًا هُنا".

فتساءل الشبحُ: "ماذا تعني"؟

"لَمَّا رسمت على الأرض – على الأقل في بداية مسيرتك – رسمتَ لأنَّك تَلَمَّستَ لمحاتٍ سمائيّةً على المناظر الأرضيّة ومدى نجاح رسمك قد كَمُنَ في إتاحة الفرصة للآخرين أنْ يروا هذه اللمحات أيضًا، ولكن هُنا لديك الشيء بنفسه، من هُنا أتتْ الرسائل. لا منفعة في إخبارنا عن هذه المدينة إذ قد رأيناها بالفعل. في الواقع نراها أفضل منك".

" إذًا لن يكون هُناك أي معنى للرسم هُنا"؟

"لا أقول هذا، عندما تنمو وتُصبحَ رجلًا – لا بأس فقد وجَبَ علينا جميعًا أن نفعل هذا– سيكون هُناك بعض الأشياء ستراها بصورةٍ أفضل من أي أحدٍ آخر وأحد الأشياء التي ستودُّ فعلَها هيَ إخبارنا عن هذه الأشياء ولكن ليس بعد. في الوقت الحاضر وظيفتك أن ترى. تعال وانظر، فلا نهاية له (المسيح) تعال وتغَذَّى".

سكتوا لبرهة، ثمّ قال الشبح بصوت مُتبَلِّدٍ: "سيكون هذا مُبهِجًا".

"تعال اذًا". قال الروح مُقَدِّمًا ذراعه.

تساءل الشبح: "متى في اعتقادك ساستطيع الشروع في الرسم"؟

انفجر الروح في الضحكً قائلًا: "ألا ترى أنَّك لن ترسم أبدًا إن كان ذلك ما تُفَكِّرَ فيه".

"ماذا تعني"؟ سأله الشبح

"السبب! إنْ اهتمَّيت بالمدينة فقط لأجل رسمها فلن تتعلم أن تراها هيَ".

"ولكن هذه هيَ الطريقة التي يجد بها الفنان الحقيقيّ اهتمامَه في المدينة".

"ليس صحيحًا! إنَّكَ تنسى"، قال الروح: "لم يكن الأمر هكذا في البداية، كان النور هو حُبُّكَ الأوّل ولقد عَشِقتَ الرسم كوسيلة للتعبير عن النور".

"أوه.. لقد كان هذا منذ زمن بعيد"، قال الشبح: "ولكن المرءَ يَتحرَّرُ من هذا بمرور العمر. إنَّكَ بالتأكيد لم ترَ أعمالي اللاحقة فالمرء يُصْبِحُ شغوفًا بالرسم أكثر فأكثر طلبًا للرسم في ذاته".

"صحيح تمامًا. كان عليَّ أنا أيضًا أن أُشْفَى من ذلك. كان ذلك كلَّه خُدعةً كبيرةً؛ الحبرُ (الكتابة) والأوتار (الموسيقى) وألوان الطلاء (الرسم) ضروريّة في الأسفل ولكنها أيضًا مُحَفِّزات خطِرة فكلّ شاعرٍ، موسيقى، فنان - عدا القليل من الاستثناءات بنعمة الله – يَنجَذِبُ بعيدًا عن محبّة الشيء الذي يُعَبِّرَ عنه إلى محبّة التعبير في ذاته. بعيدًا لأسفل في قلب الجحيم لا يقدرون أن يهتمّوا بالله على الإطلاق بل ما يقولونه عنه، كونه (الشيء الذي يقولونه عن الله)، لا يفتر عن أن يكون شيقًا للرسم كما تعلم. وإذا غاصوا أعمق في الجحيم يُصبحون مُهتَمِّين بشخصياتهم الذاتية ثمّ بلا شيء".

قال الشبح بصرامةٍ: "لا أعتقدُ أنَّني عالقٌ في هذا الطريق".

"هذا ممتازٌ"، قال الروح: "ليس الكثير مِنَّا استطاع ان يتَخَلَّص من ذلكَ لحظة وصولنا ولكن إن وُجِدَ أي شيء من ذلك الالتهاب (inflammation) فسيُشفَى ما أن نصل إلى الينبوع".

"أي ينبوع هذا"؟

"إنَّه هناك على الجبال"، قال الروح: "باردٌ وصافٍ جدًّا، بين تَلَّين أخضرين يشبه قليلًا 'ليث'[٣٧]. ما أن تشرَبَ منه، تنسى حقوق ملكيتك لأعمالك الخاصّة وتستمتع بها كما لو كانت لآخرٍ بدون تَكَبُّرٍ أو اتِّضاع".

"سيكون هذا عظيمًا"، قال الشبح بدون حماس.

"حسنًا تعال إذًا"، قال الروح مُعَضِّدًا الظلَّ الأعرج (أي الشبح) لبضع خطوات للأمام ناحية المشرق.

"بالتأكيد"، قال الشبح كمن يُحَدِّثَ نفسه: "سيكون هناك دائمًا أشخاصٌ مُشَوَّقون للمقابلة.. ".

"الكلّ سيكون موشَوَّقًا".

---

[٣٧] Lethe اسم إله النسيان في الأساطير اليونانية، كذلك اسم أحد الأنهار الخمسة في العالم السفلي الخاضعة لسلطان الإله هاديس (إله الموتى).

"أوه، آه. نعم كنت أتأكدُّ فقط. فكَّرتُ في أشخاصٍ من نفس مجالي. هل سأقابل كلاود؟ أو سيزان؟ [٣٨] أو... ؟".

"عاجلًا أم آجلًا إن كانوا هُنا"؟

"لكنْ ألا تعلم"؟

"حسنًا. بالطبع لا. ليس لي هُنا إلَّا بضعة سنوات وكلّ الظروف تَحُوُلُ دون مروري بهما، فكما تعلم هناك الكثير مِنَّا".

"ولكن بالتأكيد في حالة الأشخاص المميزين فأغلب الظن أنَّك تسمع (بقدومهم)"؟

"ولكنَّهم ليسوا مُمَيَّزين. ليس أكثر من أي شخص آخر هُنا. ألا تفهم؟ فالمجد يُحَلِّقَ مُتَخَلِّلًا الجميع وينعكس من الجميع مثل النور والمرآة ولكن النور هو الكلّ في الكلّ".

"أتقصد أنَّه ما من مشاهير هنا"؟

"الجميع مشهورون، الجميع معروفون، مُتَذَكَّرون، مُتَعَرَّفٌ عليهم من قِبَل العقل الأوحد القادر على إصدار حكمًا كاملًا".

"بـ... بالطبع من هذا المُنْطَلَق.. ".

"لا تتوقف"، قال الروح ولا يزال يقتاده إلى الأمام.

---

[٣٨] Claude monet (١٨٤٠ – ١٩٢٦) وpaul cezanne (١٨٣٩ – ١٩٠٦) رسّامون فرنسيّون مشهورون.

"على المرء إذ أنّ يُسَرَّ بشهرته بين الأجيال القادمة"، قال الشبح.

قال الروح: "يا صديقي ألا تعلم"؟

"أعلم ماذا"؟

"إنّك أنت وأنا قد نُسِينا تمامًا علي الأرض".

"ماذا؟ ما هذا"؟! صرخ الشبح فاكًّا ذراعه (من ذراع الروح):

"اتبعني، إنّ أولئك 'الإقليميّون التقدميّين (neo-regionalists)' الملاعين قد فازوا في النهاية".

"نعم.. بوركت من الله"، قال الروح هازًا رأسه مجدّدًا ومتألقًا بالضاحك: "لن تجني خمسة جنيهات من بيع أي صورة لي أو ربّما حتّى لك في أوروبا وأمريكا اليوم. نحن ميتون أصبحنا موضة قديمة".

قال الشبح: "عليَّ الرحيل حالًا، دعني أذهب لعنة الله على كلّ شيء، على المرء واجب تجاه مستقبل الفن. عليَّ العودة إلى أصدقائي على كتابة مقال. لابد من وجود منشور رسميّ، لابد وأن نبدأ في إصدار مجلة دوريّة لابد أن يكون لدينا إعلان ودعاية. دعني أذهب هذه ليست مزحة".

وبدون استماع لرد الروح اختفى الشبح...

الفصل العاشر

وهذه محادثة أُخرى سمعناها..

"هذا بالتأكيد لا يحتاج إلى سؤال"، قالت شبح امرأة إلى أحد النساء اللامعات: "لا يجب أنْ أحلمَ بالبقاء إن كنت سأقابل روبرت، إنّي جاهزة أن أغفر له بالتأكيد ولكن أي شيء أكثر من ذلك لهو من رابع المستحيلات. كيف استطاع أن يأتي إلى هنا... ولكن هذا من شؤونك أنت".

قالت الأُخرى: "ولكن إن كنت قد صفحتِ عنه فبالتأكيد.. ".

قالت الشبح (مقاطعةً): "صفحتُ عنه كمسيحيّة ولكن هُناك بعض الأشياء لا يمكن نسيانها".

قالت الروح: "ولكني لا أفهم.. ".

قالت الشبح بضحكة صغيرة: "تمامًا، أبدًا لم تفعلي، فلطالما اعتقدتِ أنَّ روبرت لا يُمكن أن يفعل شيئًا خاطئًا... أعرف. رجاءً لا تقاطعني للحظةٍ واحدةٍ. ليس لديك أدنى فكرة عمَّا عانيت مع عزيزك روبرت 'ناكر الجميل'، أنا من عملت منه رجلًا ضحيّت بحياتي كلّها من أجله فماذا كان جزائي؟ أنانيّة تامّة لا نهاية لها. لا تقاطعيني بل انصتي، عندما تزوَّجته كان يتقاضى خانعًا ستمائة جنيهًا إسترلينيًّا واحفظي كلمتي يا 'هيلدا'. لولا

وجودي لبقيَّ في هذا المركز إلى يوم وفاته. أنا من اقتدته في كلّ خطوة في الطريق. لم يملك ولو شرارة من الطموح. كان الوضع أشبه بمحاولة رفع حقيبة من الفحم، أنا من حفزّه باللوم (الإيجابيّ) أن يأخذ عملًا إضافيًّا في قطاع آخر، ومع أنّها كانت بداية كلّ شيء. لكن تبًّا لكسل الرجال. عفوًا لا تقاطعيني، أنّه لا يقوى على العمل لثلاثة عشر ساعة كلّ يوم. كما لو كنت لا أعمل لوقت أطول إذ لم تنتهي ساعات عملي قبله قط كان عليَّ أن استحثّه المساء كلّه كي يعمل. أتفهمين قصدي؟ لو عاش بطريقته لجلس على كرسي متحرك وقطَّب حاجبيه نَكَدًا عند انتهاء العشاء، أنا من كان عليه أن يُخرجه خارج نفسه ويُلَمِّعَه ويختلق الأحاديث بلا أي عون منه، وبالطبع في بعض الأحيان لم يستمع حتّى. وإن قلت له إن عليه أن يعاملني بأسلوب جيّد على الأقل إن لم يكن لديه ما يُقدِّمه أكثر، وبدا وكأنه نسيَّ أنّني سيدة وحتّى وإن كنت قد تزوجته. كنت أعمل طيلة الوقت حتّى اهترأت إلى العظام أصابعي من الكدِّ لإجله بلا أدنى تقدير. اعتدت أن أقضي ساعات في ترتيب الأزهار لأجعل ذلك المنزل الصغير الأحمق يبدو لطيفًا وبدلًا من أن يشكرني، ماذا قال في اعتقادك؟ قال إنّه تمنَّى لو لم

أملأ بها مكتبه حين احتاجه.. وذات مساء أخذَتْه نوبة اهتياج مخيفة تمامًا لأنّي سكبت إحدي المزهريّات على مجموعة من أوراقه وكلّ هذا في الحقيقة هراء إذ لم تكن لهذه الأوراق أي علاقة بعمله. كانت لديه فكرة سخيفة بكتابة كتاب في تلك الأيام، وكان في مقدوره فعل ذلك. لكني عالجته من هذا الأمر في نهاية المطاف.. لا يا 'هيلدا' عليك الإصغاء.. المشكلة التي جَدَّتْ. هي الاستمتاع! فكلّ ما كان في عقل روبرت هو الانسلال بين الفينة والأُخرى ليرى من يدعوهم الأصدقاء القدامى. وتركي أُفَرِّج عن نفسي! ولكن عرفت من البداية أنّهم لا ينفعونه في شيء، فقلت له: 'لا يا روبرت أصدقائك أصدقائي الآن وواجبي أن استضيفهم هُنا بالرغم من كم أنا متعبة، ومع أنّ ذلك يفوق قدرتنا على الاحتمال. أتعتقدين أنّ كلّ هذا كافيًا؟ لكنهم تردّدوا علينا لفترةٍ ليست كبيرة، وهُنا احتجت أن الجأ إلى الكياسة، فالمرأة المتأهِّبة بالحنكة يمكنها دائمًا أن تعطي كلمة هُنا وهُناك. أردتُ أن يراهم 'روبرت' في ظروف مختلفة. وبطريقة ما لم يكونوا على راحتهم في غرفة الاستقبال، ولا حتّى كانوا بأفضل حال. وبالطبع لم يشعر روبرت بالارتياح أثناء هذا العلاج ولكن كلّ هذا كان

لمصلحته في النهاية. وقبل انقضاء عام واحد لم يعد أي من أولئك صديقًا له. ثمّ حصل على الوظيفة الجديدة. خطوة رائعة للأمام ولكن ماذا حدث في ظَنِّك؟ بدلًا من إدراك أنّ لدينا فرصةً الآن لننمو، كان كلّ ما قاله: "حسنًا، الآن بالله عليك لنأخذ قسطًا من الراحة"! أوشك هذا القول أن يُجْهِزَ عليَّ وأوشكتُ أنْ أفقد الأمل فيه وأتركه للأبد. ولكني أعرف واجباتي ولطالما ادَّيتُها، لا يمكنكِ تخيُّل المجهود الذي بذلته في حَثِّه على الانتقال لمنزل أكبر ثمّ البحث عن هذا المنزل. لما بقيَّ في نفسي ذرة من ضغينة لو أنّه فقط أخذ الموضوع بالجديّة المطلوبة، لو أنّه فقط رأى المرح في الأمر. لو كان شخصًا مختلفًا لوجدنا المرح في انتظاره على عتبة منزلنا عند عودته من المكتب قائلة: 'تعال معي يا صاح لا وقت للعشاء الليلة لقد سمعتُ عن منزل جديد بالقرب من 'واتفورد' ولديَّ المفتاح نستطيع أن نذهب ونرجع قبل الساعة الواحدة'.لكن في حالته هو كان الوضع مآساة كاملة يا 'هيلدا' إذ في ذلك الوقت قد أخذَ روبرت الرائع خاصّتك في التحوُّل إلى ذلك النوع من الرجال الذي لا يكترث سوى لبطنه عن كلّ شيء. جعلته ينتقل إلى المنزل الجديد في النهاية. نعم أعلم أنَّ ذلك كان أكثر قليلًا مما

نحتمل في تلك اللحظة. لكن انفتحتْ أمامه جميع المجالات، وقد بدأت بالطبع في الاستمتاع بشكل مناسب لم يعد هناك المزيد من ذلك النوع من الأصدقاء. فعلت كلّ هذا من أجله وكلّ صديق صالح اكتسبه كان بفضلي أنا. اعتدت أن ألبس جيِّدًا بطبيعتي، كان من المفروض أن تكون أفضل سِنِيّ حياتنا، وإن لم تكن فليس إلَّا بسببه. أوه.. لقد باتَ رجلًا يدفعك للجنون، ببساطة يجعلك تفقدين عقلك. لم يفعل سوى أن ينمو كهلًا صامتًا غضوبًا، لقد غرق داخل ذاته، كان ليبدو أصغر بسنوات عديدة لو أنه واجه المشكلة بل لم يكن ظهره ليتقوَّس أيضًا، وإني متأكدةٌ أنّني حذَّرته من ذلك مرارًا وتكرارًا. لقد كان المُضِيف الأتعس علي الإطلاق، فكلّما أقمنا حفلًا، وقع الحمل بأكمله على عاتقي. كان روبرت ببساطة بطانية مبتلة ولكن كلّما قلتُ له: (قلت ذلك بدل المرة، مئات المرات) بأنَّه لم يكن دائمًا كذلك. مرَّتْ علينا أوقات اهتمّ فيها بكلّ الأشياء وكان جاهزًا تمامًا لصنع صداقاتٍ جديدة. اعتدتُ أن أقول: 'ما خطبك بحق الجحيم'؟ لكنه لم يعد حتّى يجيب اطلاقًا. كان يجلس مُحَمْلِقًا فيَّ بعينيه الكبيرتين الرائعتين – أصبحت أكره أي رجل ذي عيون سوداء – كارهًا إياي من

الداخل (أعرف ذلك الآن) كانت تلك هي مكافأتي بعد كلّ ما فعلتُ لأجله. شرٌ محض بلا سبب. في نفس الوقت الذي أصبح فيه أغنى مما حلم يومًا أن يكون. وكقولي المتكرّر: 'روبرت، أصبحت ببساطة تشبه الإنسان البدائيّ'، فلقد اعتاد الشباب الذين أتوا إلى منزلنا – وليس ذنبي أنّهم اعجبوا بي أكثر من زوجي العجوز الفظّ – اعتادوا أن يسخروا منه. لم أدَّخر قطرة عرقٍ في أداء واجبي إلى النهاية، أجبرته على القيام بتمارين رياضيّة وغرضي الأساسيّ من ذلك أن أبقيه رائعًا ووقورًا. استمريتُ في إقامة الحفلات، أخذته إلى أروع العطلات ورأيتُ أنّه لا يشرب (الجعة) كثيرًا حتّى وإن ساءت الأمور. شجَّعته أن يعود إلى الكتابة مجدّدًا لم يعد من هذا ضرّر حينها. فأي شيء أكثر يمكن أن أفعلَ لمساعدته حين غرق في اليأس؟! ضميري مستريح، فلا توجد امرأة بالعالم أدَّت واجبها أفضل مني على الإطلاق. الآن إذ ترين لماذا من المستحيل أن... وإلى الآن... لست أعلم. اعتقد أنّني غيّرتُ رأيي، سأقدِّم لهم عرضًا رائعًا يا 'هيلدا'، لن أقابله إن كانت المقابلة فقط هي كلّ ما يُعْرَض عليَّ إن كان بيدي الخيار، سأتولَّى مسئوليّته ثانيةً، سأحمل عبئي مرة أُخرى، ولكن يجب

أن أُتْرَكَ حرّة تمامًا. ففي متسع الوقت الهائل هُنا اؤمن أنّني سأفعل مِنْه شيئًا. فقط أنا وهو في مكان ما. أليست فكرة سديدةً؟ لا يمكنه الاعتماد على نفسه، دعيني أتولّى مسئوليّته فهو يحتاج لقبضة قويّة توجّهه. أنا أعرفه أفضل منك. ما هذا؟ لا. اعطه لي. أتسمعينني؟ لا تستشرينه بل فقط اعطني إياه. ألستُ زوجته؟ كلّ ما فعلت كان فقط البداية هُناك الكثير جدًّا جدًّا من الأشياء ما زلت استطيع فعلها له. اسمعي يا 'هيلدا' رجاءً، رجاءً. إنّي بائسة جدًّا. لابد وأن يكون لي شخص أُقدِّمُ له خدمات. ببساطةٍ، الأمر مخيف في الأسفل هُناك (في البلدة) لا أحد يكترثُ لأمري قطّ، ولا استطيع تغييرهم. إنّه لأمر مروِّع رؤيتهم يجلسون بلا حراك خاملين وليس بيدي فعل أي شيء لهم. ارجعيه لي لما عليه أن يحظى بكل شيء كما يحبّ؟ هذا ضار له، هذا ليس صحيحًا، هذا ليس عادلًا. أريد 'روبرت'. من أين لكِ الحقّ أن تمنعيه عني؟ أنا أكرهك. إن كنتِ لن تعطيني إياه فكيف يمكنني أن اشتريه"؟

وارتفعت الشبح مثل لهب شمعة تذوب ثمّ انفجرت فجأةً كفقاعة. بقيتْ في الهواء رائحه كريهة جامدة للحظة، بعدها لم يعد يُرى أي شبح.

الفصل الحادي عشر

أحد أشدَّ المقابلات المؤلمة التي شهدناها كانت بين شبح امرأة وروحٍ لامعٍ هو أخوها فيما يبدو. وحتمًا قد تقابلا للتو قبل مرورنا بهما إذ كانت الشبح تقول بنبرة إحباط لا يمكن مواساته:

"أوه... 'ريجينالد'! هذا أنت، أليس كذلك"؟

"نعم يا عزيزتي"، قال الروح: "أعرف أنَّكِ كنت تنتظرين شخصًا آخرًا ولكن هل من الممكن... أتمني لو كان بمقدورك أن تسرّي ولو قليلًا لرؤيتي في الوقت الحاضر"؟

"اعتقدت أنّ مايكل سيأتي لرؤيتي"، قالتْ الشبح واستطردت بعدها بضراوة تقريبًا: "إنَّه هنا بالتأكيد".

"إنَّه بعيدًا في الأعلى فوق الجبال".

"ولِمَ لَمْ يأتِ لمقابلتي؟ ألمْ يعلم (بمجيئي)"؟

"لا تقلقي يا عزيزتي كلّ شيء سيكون على ما يُرام، ولكن الأمور لا تسير هكذا ليس بعد. لم يكن ليقدرَ أن يراكِ أو يسمعك وأنتِ في وضعك الحالي فأنتِ غير مرئيّة تمامًا بالنسبة له، ولكننا سنُقَوِّمُك قريبًا".

"اعتقد أنّه إن كان بمقدورك رؤيتي فابني أيضًا يستطيع"!

"لا تسير الأمور دومًا هكذا، إني متخصِّصٌ في هذا العمل".

"أوه. عملٌ! أحقًّا هو كذلك"؟ قالت الشبح ملتهمةً الكلام. و أردفتْ بعد سكتة قصيرة: "حسنا متى سَيُسمح لي برؤيته"؟

"أمّا عن السماح لك برؤيته فلا شك في ذلك يا 'بام'، ما أن يصبح ممكنًا له رؤيتك وبالطبع سيفعل، لكن يجب أن تُثَقَّلِي قليلًا أوّلًا".

قالت الشبح: "كيف"؟ كانت الكلمة قاسيةً وبصورة وعيد.

قال الروح: "أخشى أن تكون الخطوة الأولى خطوةً صعبة، ولكن ما أن تجتازينها ستسير الأمور (بسرعة وسلاسة) كمنزل تلتهمه النيران. ستصبحين صلبةً بما يكفي لمايكل كي يستطيع رؤيتك ما أن تتعلمي طلب شخص آخر إلى جانبه. لست أقول أعظم منه ليس في بداية الأمر سيحدث هذا فيما بعد. **فقط بذرة التوق الصغيرة إلى الله هي ما نحتاج لبدء العمليّة**".

"أتقصد الدين وكلّ هذه الأشياء؟ هل جاءت اللحظة التي... ومنك أنت من بين الجميع! حسنًا فلا تشغل بالك فسأفعل كلّ ما هو ضروريّ. ماذا تريدني أن أفعل؟ هيا فكلّما بدأت أسرع كلّما سمحوا لي أن أرى ولدي. إنّي جاهزة جدًّا".

"ولكن يا 'بام' فكري في الأمر! ألا ترين بأنّك لن تبدأي البتّة طالما تفكرين بهذه العقليّة؟ تعاملين الله فقط كوسيلة للوصول إلى

مايكل، ولكن علاج التثقيل يكمن بالكامل في تَعَلُّم طلب الله لذاته هو".

"لو كنت أُمًّا لما تكلمت هكذا".

"تفصدين لو كنت أُمًّا فقط لا غير، ولكن لا وجود لكون المرء أُمًّا فقط. فكونك أُمًّا لمايكل لهو فقط بسبب كونك مخلوقة الله في الأساس فالعلاقة (علاقتك بالله) أقدم وأقرب. لا اسمعي يا 'بام' لقد أحبَّ هو (الله) أيضًا، لقد عانى هو أيضًا ولقد انتظر طويلًا أيضًا".

"إن كان قد أحبَّني فسيتركني أرى ولدي. إن كان قد أحبَّني فلماذا أخذ مني مايكل؟ لم أكن لأقول شيئًا عن ذلك ولكن من الصعب كثيرًا غفران ذلك كما تعلم".

"ولكنه اضطر أن يأخذ مايكل، لمصلحته الشخصيّة أوّلًا".

" أنا متأكدة أنّني قدَّمتُ أفضل ما لديَّ لجعل مايكل سعيدًا، وضحَّيت بحياتي كلّها لأجله".

"لا يستطيع البشر أن يجعلوا بعضهم البعض سعداء لفترة طويلة. وثانيًا؛ لمصلحتك أنتِ الشخصيّة، فلقد أراد (الله) أن يتحوَّل حبُّك الغريزي المجرَّد لطفلك – وكما تعلمين فإنّ إناث النمور يشاركوننا هذا الحبّ أيضًا – إلى شيءٍ أفضل. أرادك أن تحبي

مايكل حسب مفهومه هو للحبّ. فلا يمكنك أن تحبّي أحد المخلوقات أقرانك حبًّا كاملًا دون أن تحبّي الله. في بعض الأحيان يمكن أن يتمّ هذا التحوُّل وحبُّك الغريزيّ لا يزال يُشْبَع، ولكن في حالتك ففيما يبدو لم تكن هُناك فرصه. فالغريزة كانت فاقدة السيطرة، ضارية وأُحاديّة الهوس (monomaniac). سَلِي ابنتَكِ، سَلِي زوجَكِ، سَلِي أمَّك فلم تفكري بها ولو لمرة واحدة. فقد كان العلاج الأوحد هو أخذ محور هذه الغريزة. لقد كانت عملية جراحيّة. وإذ أحبط ذلك النوع الأوّل من الحبّ فقد كانت هُناك فرصة من قلب الوحدة ومن قلب السكون أن ينمو شيئًا آخر".

"هذا هراء، هراء قاسٍ شرير. بأي حقّ تقول مثل هذه الأشياء عن حبّ الأم؟ إنّه أسمى وأقدس شعور في الطبيعة البشريّة".

" 'بام'، 'بام'! لا وجود لمشاعر طبيعيّة سامية وأخرى مُنْحطَّة، مقدسَّة وغير مُقدَّسة في ذاتها. جميع المشاعر مُقدَّسة عندما تكون يد الله في الإدارة وجميعها تصبح شريرة عندما تستقل بذاتها جاعلة في أنفسها آلهة زائفة".

"لم يكن حبّي لمايكل ليصبح شريرًا أبدًا. ليس وإن عشنا سويًّا لملايين السنين".

"إنّك مخطئة، ويجب أن تعرفي ذلك. ألم تقابلي هُناك في الأسفل أمهات مازالوا يملكون أبناءهم معهم في الجحيم. أجَعَلَهم حبَّهم سُعداء؟"

"إن قصدت أناس كسيدة 'جوثري'[٣٩] وابنها الضابط البشع، فبالتأكيد وآمل أنَّك لا تفكر في تلك... إن كان مايكل معي لكنت سعيدة تمامًا حتّى في تلك البلدة، ولم أكن لأتحدَّث عنه طيلة الوقت حتّى يكره الجميع سماع اسمه كما فعلتْ 'وينفريد' التي من 'جوثري' بطفلها الشقيّ (الضابط)، لَمَا تشاجرتُ مع الناس لعدم منحه الاهتمام الذي يستحقه، وبعدها أُصَاب بغضب الغيرة إن فعلوا، لَمَا انتحبتُ وتَشَكَّيتُ من كونه غير لطيف معي إذ بالتأكيد سيكون لطيفًا معي. إياك أن تقترح أنّ مايكل سيكون مثل ولد 'جوثري' فثمّة أشياء لن احتملها".

"ما رأيته في سيدات 'جوثري' هو ما تكون عليه العاطفة الطبيعيّة[٤٠] في النهاية إن لم تتحوَّل".

---

[٣٩] Guthrie قرية في اسكتلندا.

[٤٠] ستتكرّر كثيرًا في هذا الفصل وهيَ في الأصل natural وتعني العواطف البشريّة.

"كذب، كذب شرير قاس. كيف يمكن لأي أحد أن يحبّ ابنه أكثر مما فعلتُ؟ ألم أعش كلّ هذه السنين على ذكراه"؟!

"كان هذا خاطئًا يا 'بام' وأنتِ تعرفين ذلك في أعماق اعماقك".

"أي شيء كان خاطئًا"؟

"طقس النوح بأكمله خلال العشر سنوات تلك، الاحتفاظ بغرفته تمامًا كما تركها والإبقاء على التذكار السنويّ لوفاته ورفض الانتقال من المنزل بالرغم من كون 'ديك' و'موريل' تعيسين فيه".

"لم يعنهم الأمر بالتأكيد! إنّي أعرف ذلك وقد تعلمتُ عاجلًا ألّا انتظر أيّة تعزية حقيقيّة منهما".

"أنتِ مخطئة، فلم يوجد رجل على وجه الأرض تأثّر بموت ابنه أكثر من 'ديك'. وليس الكثير من الفتيات أحبّبن إخوتهم أكثر من 'موريل'. فلم تكن ثورتهم ضد مايكل بل ضدك أنتِ، ضد جعل حياتهم بالكامل تحت عبوديّة وطغيان الماضي، وليس حتّى ماضي مايكل، بل ماضيك أنتِ"!

"إنّك بلا قلب، جميعكم بلا قلب، فالماضي كان كلّ ما تبقى لديَّ".

"بل كان كلّ ما اخترتِ أنتِ أن يتبقى، لقد اتَّخذتِ الطريق الخاطيء في التعامل مع الحزن. كان الأمر أشبه بتحنيط المصريّين لجثث موتاهم".

"بالطبع أنا مخطئة، فكلّ ما أقول وأفعل بالنسبة لك مخطيء".

"ولكن بالتأكيد"، قال الروح مُشرقًا بالحبّ والمرح حتّى لمعت عينيَّ انبهارًا: "هذا ما يجده جميعنا عندما نصل إلى هذه المدينة، أنّنا كُنَّا مخطئين بالكامل، وهذه هيَ المزحة الكبرى. لا حاجة للاستمرار في التظاهر بأنّنا كُنَّا على حقّ! بعد ذلك تبدأ حياتنا".

"كيف تجرؤ أن تضحك مما أقول؟ اعطني ابني، اتسمع؟ لا تعنيني كلّ قوانينكم وتنظيماتكم، لست اؤمن بإله يُبْعِد أُمًّا عن ولدها، بل اؤمن بإله المحبّة. ليس لأحد حقّ في أن يتدخل بيني وبين ابني ولا حتّى الله! اخْبِرَهُ ذلك في وجهه. أريد ولدي وأعني الحصول عليه وهو ملكي اتفهم؟ مِلكي، مِلكي، مِلكي إلى الأبد وإلى أبد الأباد".

"سيصبح لك يا 'بام' سيصبح مِلْكَك والله نفسه سيصبح مِلْكَك ولكن ليس بهذه الطريقة فلا شيء يمكن أن يكون مِلْكَكَ حسب الطبيعة".

"ماذا؟ ولا حتّى ابني، الخارج من رحمي"؟!

"وأين جسدك الآن؟ ألا تعلمين أنَّ الطبيعة لابد وأن يأتي لها يوم وتنتهي؟ انظري فالشمس قادمة وستشرق على الجبال في أي لحظة".

"مايكل ملكي أنا".

"كيف يكون ملكك؟ أنتِ لم تخلقيه بل الطبيعة هيَ من جعلته ينمو في رحمك بدون إذن من إرادتك، بل وعكس إرادتك. تتناسين في بعض الأحيان أنّك لم تنوي إنجاب طفلًا حينها على الإطلاق فلقد جاء مايكل عن طريق الصدفة".

"من أخبركَ بذلك"؟ قالت الشبح ثمّ أرْدَفَتْ مستجمعةً قواها: "كذبٌ، ليس صحيحًا وليس هذا من شأنك. إني أكره ديانتك وأكره واحتقر إلهك. إنّي اؤمن بإله المحبّة".

"ومع ذلك يا 'بام' فأنتِ لا تملكين في هذه اللحظة أية محبّة لأُمِّك أو لِي أنا"!

"فهمت الآن! هذه هي المشكلة أليس كذلك؟حقًّا يا 'ريجينالد'! فكرة أنّك مجروح بسبب..".

قال الروح مطلقًا ضحكة عظيمة: "باركك الله!لا تقلقي حيال ذلك ألا تعلمين بأنّك لا تسطيعين إيذاء أي واحد هُنا في هذه المدينة"؟

ظلّت الشبح صامتة للحظات شاغرة فاها، ذابلة بهذه الكلمات المطمئنة أكثر من أي شيء آخر فيما اعتقد.

"هيا بنا نتعمَّق قليلًا". قال معلمي واضعًا يده على ذراعي..

"لماذا أخذتَني بعيدًا سيدي"؟ قلت ذلك ما أن تخطينا مرمى سمع هذه الشبح التعسة.

قال معلمي: "قد تستمر هذه المحادثة طويلًا ولقد سمعت منها ما يكفي لتعرف ما سيكون اختيارها".

"أما من أمل على الإطلاق سيدي"؟

"بلا، هُناك بعض الأمل. ما تدعوه حُبَّها لابنها قد تحوَّل إلى شيء مسكين، لاذع مشَوِّك ولكن لا تزال هُناك شرارة، تكاد لا تُرى من شيء آخر غير ذاتها، وقد تُنْفَخ هذه الشرارة فتشتعل لتصير لهبًا".

"فتكون إذًا بعض المشاعر الطبيعيّة حقًّا أفضل من غيرها. أقصد كنقطة انطلاق نحو الهدف الحقيقيّ (وهو الله)".

"أفضل وأسوأ أيضًا: فهُناك شيء في المحبّة الطبيعيّة يجعلها أسهل من الشهية (appetite) الطبيعيّة في أن تُقاد نحو الحبّ الأبديّ. ولكن بها أيضًا شيء يجعلها أسهل في أن تتوقّف عند المستوى الطبيعيّ وأن تخطيء فتجعله الهدفَ بدلًا من الهدف الحقيقيّ. فأن ينخدع المرء في النحاس حاسبًا إياه ذهبًا، أسهل من أن ينخدع في الطين. وإن رفضتْ التحوُّل ففسادها سيكون أبشع من فساد ما تدعوها: 'العواطف الأدنى'. إنّها ملاكٌ قويّ ولهذا فعندما تَسْقط تُنْتِج شيطانًا أعنف".

"لستُ أعلم إنْ كنتُ أجرؤ أن أُكرِّر هذا على الأرض يا سيدي. سيقولون إنّني لست بشرًا، سيقولون إنّني مؤمن بالفساد الأخلاقيّ المُطلق، سيقولون إنّني أُهاجم أعظم وأقدس الأشياء سيدعونني.. ".

"لن يضرك شيء إن فعلوا كذلك". قال معلمي بوميض (على ما اعتقد) في عينه".

"ولكن أيجرؤ أحدٌ، هل لأحدٍ الوجه أنْ يذهب لأُمّ حُرِمتْ من ابنها، في بؤسها بينما لم يُجرِّبَ هذا الحرمان بنفسه"؟!

"لا يا ابني، هذا ليس عملك أنتَ! فأنتَ لا تناسب هذا العمل. عندما يُفْطَر قلبك. فسيحين الوقت لأن تفكر في التكلم ولكن

على أحدكم أن يقول ما لم تقولوه كلّ هذه السنين فيما بينكم؛ إنَّ الحب – كما يفهمه الفانون – ليس كافيًا. كلّ حبّ طبيعيّ سيقوم مجدّدًا ويحيا إلى الأبد ولكن لا شيء يقوم إن لم يدفن أوّلًا".

"هذا الكلام صعب جدًّا بالنسبة لنا".

"صحيح، ولكن من القسوة عدم قوله. فأولئك الذين يعلّمون هذا أصبحوا خائفين من الإفصاح ولهذا فإنّ الأحزان التي يُفترض أنّها تُنَقِّي، الآن تتقيّح".

"كان كيتس[٤١] مخطئًا إذًا عندما قال بإنّه متأكد من قدسيّة العواطف القلبيّة".

"لست متأكدًا من أنّه عرف بوضوح ما قصده، ولكن أنتَ وأنا يجب أن نكون واضحين، **فليس صالح إلّا واحد وهو الله، وكلّ شيء صالح عندما ينظر إليه وشرير عندما يبتعد عنه، وكلما كان أسمى وأعظم في النظام الطبيعيّ (البشريّ) كلّما كان أكثر شيطانيّة، فلا تنتج الشياطين من فئران أو براغيث شريرة بل من رؤساء ملائكة أشرار، فالعبادة الخاطئة للشهوة أحقر**

---

[٤١] John keats (١٧٩٥ – ١٨٢١) شاعر رومانسي برياطانيّ شهير.

من العبادة الخاطئة لحبّ الأم أو حبّ الوطن، ولكن احتمال أن تتحوَّل الشهوة إلى عبادة أقل بكثير. لكن انظر"!

رأيتُ شبحًا يحمل شيئًا على كتفه آتيًا نحونا، وكباقي الأشباح جميعًا كان وهميًّا ولكنهم اختلفوا الواحد عن الآخر كما يختلف الدخان، فكان بعضهم أيضًا، أمَّا هذا قاتمًا ومتشحمًا وما جلس على كتفه كان سحليةً حمراء صغيرة، كانت تهز ذيلها كالسوط وتهمس بأشياء في أذنه، وما أن رأيناه حتّى حَوَّل رأسه نحو السحلية بزمجرة مَنْ نفذَ صبره، وقال: "أقول لك اخرسي".

هزَّتْ السحلية ذيلها واستمرَّتْ في الهمس فتوقَّف عن الزمجرة وأخذ يبتسم في تلك اللحظة، ثمّ تحوَّل وبدأ يعرج ناحية الغرب مُبتعدًا عن الجبال.

"أترحل سريعًا جدًّا هكذا"؟ قال صوتٌ.

كان المتحدث في شكله يزيد أو ينقص قليلًا عن كونه إنسانًا، لكن أضخم ولامع جدًّا حتّى إنّني تمكنتُ بالكاد من التطلُّع فيه وداهمت حضرته عينيَّ، وجسدي أيضًا (إذ إلى جانب الضوء انبعث منه أيضًا حرارة) كشمس الصباح في بداية يوم صيفيّ قائظ.

قال الشبح: "نعم سأرحل، شكرًا على حسن ضيافتك، لا جدوى من ذلك، أترَى، لقد أخبرتُ رفيقيَّ هذا (وأشار هُنا إلى السحلية) بأنّ عليه أن يبقى صامتًا في حال جاء معي، إذ اصرَّ

على المجيء. بالتأكيد لن يتمكن أمثاله من الوجود هُنا. أُدرِك هذا، ولكن لن يتوقف، فعليَّ أن أعود إلى منزلي".

قال الروح الملتهب، بل الملاك كما فهمت الآن: "أتريدني أن أجعله صامتًا"؟

قال الشبح: بالتأكيد أريد".

قال الملاك آخذًا خطوةً إلى الأمام: "إذًا سأقتلها".

"أوه، احترس فأنتَ تحرقني". قال الشبح راجعًا للخلف.

"ألا تريد قتلها"؟

"لم تقل شيئًا عن قتلها في البداية، لم أضايقك قط بشيء قاس هكذا".

"إنّها الطريقة الوحيدة"، قال الملاك وكانت يداه في تلك اللحظة قريبتين جدًّا من السحلية: "هلا قتلتها".

"حسنًا، هذا سؤال مُتَقَدِّمٌ، وإنّي على استعداد لأخذه في الاعتبار ولكنها نقطةٌ جيّدةٌ. أليست كذلك؟ أعني إنّني في الوقت الحاضر كنتُ أُفكر فقط في إسكاتها لأنّها لعينة ومحرجة جدًّا هُنا".

"أيمكنني قتلها"؟

"حسنا سيكون لدينا الوقت لنناقش ذلك لاحقًا".

"ليس هُناك وقت أستطيع أن أقتلها"؟

"رجاءً. لم يكن قصدي أن أكون مزعجًا هكذا. أرجوك بالحق لا تنزعج انظر لقد نامتْ من تلقاء نفسها. إنّي متأكد أنّ كلّ شيء سيكون بخير الآن. شكرًا جزيلًا".

"اتسمح أن أقتلها"؟

"بصراحةٍ، لا اجد أدنى ضرورة لهذا. وأنا متأكد من أنّني سأتمكن من إبقائها تحت السيطرة، اعتقد أنّ العمليّة التدريجيّة أفضل بكثير من قتلها".

"لا نفع من العمليّة التدريجيّة على الإطلاق".

"أتعتقد ذلك؟! حسنًا سأعيد النظر فيما تقول بعناية، سأفعل بكلّ صدقٍ. في الواقع كنت لأتركك تقتلها الآن ولكن حقيقة فإنّني لست بخير بشكل مروِّع اليوم وسيكون من السخافة فعل ذلك الآن. احتاج أن أكون في صحة جيّدة من أجل العمليّة ربّما في يوم آخر".

"ما من يوم آخر فجميع الأيام حاضرٌ الآن".

" ابتعد! فأنتَ تحرقني، كيف يمكنني أن اطلب منك قتلها؟ ستقتلني أنا أيضًا إن فعلت".

"الأمر ليس كذلك".

"كيف؟ فأنتَ تؤلمني الآن"!

"لم أقل أبدًا أن الأمر لن يؤلمك ولكنه لن يقتلك".

"نعم أعلم، أتظن أنّني جبانٌ، الأمر ليس هكذا صَدِّقني ليس هكذا. لكني أقول دعني أعود في حافلة الليلة واستشير طبيبي الخاص وسأعود بمجرّد أن تأتي اللحظة التي استطيع فيها ذلك".

"هذه اللحظة تحوي جميع اللحظات".

"لماذا تُعَذِّبَني؟ فأنتَ تسخر مني. كيف اتركك تمزقني إربًا؟ إن أردت مساعدتي فلماذا لم تقتل ذلك الشيء اللعين بدون أن تسألني، قبل أن أُدرك؟ لكان كلّ شيء انتهى إن فعلت".

"لا يمكنني قتلها بخلاف إرادتك فهذا مستحيل. أتأذن لي"؟

اقتربت يديَّ الملاك الي السحلية اكثر من أي وقت مضي ولكن لم تلمسها بعد فبدأت السحلية في الثرثرة الي الشبح بصوت عالٍ جدًّا حتّى تمكنتُ من سماع ما تقول.

قالت: "حذار، في استطاعته أن يفعل ما يقول، يمكنه قتلي، كلمة واحدة قاتلة منك وسيفعل! وبعدها ستصبح بدوني إلى الأبد. هذا ليس أمرًا طبيعيًّا كيف سيمكنك العيش؟ ستصبح فقط شبحًا لا أكثر. ليس إنسانًا حقيقيًّا كما أنتَ الآن. هو لا يفهم

هذا إنّه فقط شيء مجرّد بارد الدم، عديم الحيويّة، قد يكون الأمر طبيعيًّا بالنسبة له ولكن ليس بالنسبة لنا. نعم، نعم أعرف أنَّك لا تجد مسرة حقيقيّة الآن فكلّها أحلام. ولكن، أليست أفضل من عدمها. وسأكون جيّدة جدًّا. أُقِرُّ بأنِّي في بعض الأحيان ذهبت بعيدًا جدًّا في الماضي ولكني أعدك بأنّني لن أفعل ذلك مجدّدًا. ولن أعطيك أي شيء سوى أحلام جَدّ لطيفة، جميعها عذبة جديدة وبالكاد بريئة وقد تدعوها أنتَ بريئة جدًّا".

"أتمنحني الإذن"؟ قال الملاك للشبح.

"أعلم أنّ ذلك سيقتلني".

"لن يقتلك. لكن لنفرض إنَّه فعل"؟

"إنَّك محقّ. الموت أفضل من العيش مع مخلوق كهذا".

"إذًا أتسمح لي"؟

"اللعنة. تبًا لك! افعلها ألا تستطيع؟ انهي الأمر افعل ما تحبّ"، صرخ الشبح ولكن أنهى ناشجًا: "ليساعدني الله. ليساعدني الله".

وفي اللحظة التالية أطلق الشبح صرخة أَلَمٍ لم أسمع مثلها قط على الأرض، فقَرَّب الملتهب (الملاك) قبضته القرمزيّة من السحلية ولواها. بينما تَلَوَّت هيَ ولدغت ثمّ طرحها أرضًا على العشب مكسورة الظهر.

"أوه. لقد انتهى كلّ شيء". بهذا شهق الشبح مترنحًا للوراء للحظات.

لم استطع تمييز أي شيء بوضوح. وبعدها رأيت بيني وبين أقرب شجيرة بلا شك ذراع عُليا وكتف ورجل صلب بل ويزدادان صلابة كلّ لحظة ثمّ الساقين والأيدي أكثر بريقًا وقوة. كما تجسّدت الرقبة والرأس الذهبيّة بينما كنتُ أشاهد. ولو لم يتشتَّت انتباهي لشاهدتُ إكمال رجل، رجل هائل عَارٍ، ليس أصغر كثيرًا من الملاك.

ما شتت انتباهي كان حقيقة أنّه وفي نفس اللحظة بدا وأنّ شيئًا يحدث للسحلية. ظننت في البداية أنَّ العملية قد فشَلَت، فإذ لم يزل بعد بعيدًا جدًّا عن الموت، فقد ظلَّ المخلوق ينازع بل إنّه كان يكبر بينما هو ينازع. اَخَذْتْ أجزاؤه الخلفيّة تنمو أكثر استدارة واكتسى ذيله الذي لا يزال يتردد بالشعر وتردد بين ردفين ضخمين لامعين فتراجعتُ فُجأة للوراء وفركتُ عينيَّ.

ما وقف أمامي كان أعظم فحل[٤٢] رايته في حياتي، لونه أبيض فِضّي ولكن بِعُرفٍ وذيل من ذهب. كان أملسًا ولامعًا، متموجًا بكتل من اللحم

---

[٤٢] في الأصل stallion وهو الحصان العظيم.

والعضلات، يصهل ويركل بحوافره ومع كلّ ركلة اهتزَّتْ الأرض وارتعشت الأشجار.

استدار الرجل الحديث الصنع وامتطى رقبة الفرس الذي تشمّم جسد الرجل اللامع. تنفّس الفرس وسيده في أنف بعضهما البعض.

تحوَّل الرجل وطرح نفسه عند قدميّ الملتهب واحتضنهما، وعندما نهض أشرق وجهه بالدموع كما أظن. ولكن قد يكون بالحبّ واللمعان السائغين – فلا يستطيع المرء التمييز بينهما في تلك المدينة – اللذين تدفقا منه. لم امتلك متسعًا من الوقت للتأمل في ذلك وبعجالة فرحة قفز الشاب على ظهر الحصان، واستدار في مكانه ملوحًا بالوداع. ثم نكز الفحل بعقبيه وانطلقا قبل أن أُدرك جيِّدًا ما كان يحدث، لقد كان هُناك أيضًا رياضة ركوب الخيل إن كنت تحبّها!

خرجتُ من بين الشجيرات بأسرع ما لديَّ ألأُحقه بعينيَّ ولكنهما كانا بالفعل كشهب السماء بعيدًا جدًّا فوق الأرض الخضراء وعاجلًا بين سفوح الجبال وبعدها متموجًا ومتسلقًا ما بدا من منحدرات مستحيلة وأسرع في كلّ لحظة عن سابقتها. حتى حافة المنظر (الجبل) الخافتة، عاليًا جدًّا حتّى اضطررت أن أشد على رقبتي لأتمكن من رؤيتهما حين اختفوا – ولا يزالوا هما أنفسهما برَّاقين – في البريق الورديّ للصباح الأبديّ.

وبينما لا زلت أشاهد،لاحظتُ المنبسط والغابة اهتزَّا بالكامل بصوتٍ، أعظم من أن يُسمع لو كان في عالمنا، ولكني استطعتُ سماعه ببهجة، وعلمتُ أنَّ الذي يغني ليس الرجال الأصلاب ولكنه كان صوتُ تلك الأرض وتلك الغابات والمياه.

ضجيج عتيق غير حيّ (inorganic) أتى من جميع الأنحاء في وقت واحد وابتهلت الطبيعة بل رأس الطبائع بأنْ تُطَأ مرة أُخرى وبالتالي تكتملَ براكبِ الفرس، قائلة:

"يقول السيد لسيدنا، تعال شاركني راحتي ومجدي حتّى تتحوَّل جميع الطبائع التي كانت قبلًا أعداءك إلى عبيد وتتراقص أمامك فاردة ظهرها لتمطيه وتستقر تحت قدميك لتستريح.

فوق كلّ مكان وزمان وخارج حدود الزمن سَتمنح لك السلطة. والقوة التي عارضت قبلًا إرادتك. ستستحيل نارًا طيّعة تجري في دماءك ورعد سماويّ في صوتك. ذَلَّلْنا لك، ذَلِّلْنا بشدة فربّما عندها نصبح أنفسَنا. نشتاق لحكمك إذ نشتاق للفجر والندى والطراوة عند مولد النور. سيدنا. لقد عَيَّنك سيدك إلى الأبد لتكون ملكنا العادل ورئيس كهنتنا".

قال معلمي: "أتفهم كلّ هذا يا ابني".

قلت: "ليس كلّ شيء سيدي. هل أنا محقٌّ في اعتقاد أنّ السحلية تحوَّلت إلى حصان"؟

"نعم، ولكنها قُتِلَتْ أولًا. إنّك لن تنسى هذا الجزء من القصة"؟

"سأحاول ألَّا أنساه سيدي، ولكن أيعني هذا أنّ كلّ، كلّ شيء فينا يمكن أن يذهب إلى الجبال"؟

"ما من شيء – حتّى أنبل وأعظم الأشياء – يمكنه الذهاب كما هو الآن. وما من شيء – حتّى الأحقر والأكثر وحشيّة – لن يقوم مجددًا إن خضع للموت. "يُزرع جسمًا حيوانيًّا ويقام جسمًا روحيًّا"[٤٣]. فاللحم والدم لا يستطيعان أن يأتيا إلى الجبال، لا لأنّهما ناميين جدًّا بل لأنّهما ضعيفين جدًّا، فماذا تكون السحليّة إذا قورنت بالفحل؟! **الشهوةُ[٤٤] شيء فقير، ضعيف يأنُّ ويهمس اذا ما قورنت بالرغبة[٤٥] التي ستقوم عندما تقتل الشهوة"**.

"ولكن هل أخبرهم عند عودتي أنَّ الشهوانيّة أقلُّ كثيرًا كعقبةٍ من حبِّ تلك المرأة المسكينة لولدها؟ إذ أنَّ ذلك بأي حالٍ من الأحوال كان إفراطًا في الحبّ".

---

[٤٣] كورنثوس الأولى ١٥: ٤٤.

[٤٤] أي الشهوة الجنسية.

[٤٥] أي اشتهاء الله.

أجاب بصرامة: "لن تقول شيئًا كهذا. هل قلتَ: 'إفراطًا في الحبّ'؟ لم يكن هُناك إفراطٌ بل نقصٌ. لقد أحبَّتْ ابنها قليلًا جدًّا لا كثيرًا جدًا. لو أحبَّته أكثر لَما كانت هُناك مشكلة. ولست أعلم كيف ستنتهي قضيَّتُها ولكن من الوارد جدًّا أنّها في هذه اللحظة تُطالب بإبقائه معها في الجحيم في الأسفل. في بعض الأحيان يكون ذلك النوع جاهزًا تمامًا لإغراق النفس التي يدَّعون أنَّهم يُحبُّونها في بؤسٍ لا ينتهى إن استطاعوا فقط بشكل ما الاستمرار في حيازة تلك النفس.. بَلا، بلا. يَتَحَتَّمُ عليك أخذ درسًا آخرًا. عليك طرح هذا السؤال: إن كان الجسدُ القائمُ حتّى من الشهوة فرسًا عظيمًا كالذي رأيته، فما يكون الجسد القائم من حبّ الأم أو الصداقة"؟

ومرَّة أخرى تَشَتَّت انتباهي فسألت:

"هل هناك نهرٌ آخرٌ سيدي"؟

الفصل الثاني عشر

والسبب وراء سؤالي عن وجودِ نهرٍ آخرٍ كان ذلك. فعلى امتداد ممر طويل في الغابة أخذتْ الأجزاء السُفليّة من الأفرع المورِقة ترتعش بضوءٍ مُتَراقِص وفي الأرض، لا أعرف شيئًا يمكن أن يعطى منظرًا كهذا أكثر من الضوء المنعكس لأعلى من مياه متَحَرِّكة. بعدها بلحظات أدركتُ خطأي. فلقد كان موكبًا ما يقتربُ مِنَّا وانبعثَ الضوءُ من الاشخاص الذين شَكَّلوه.

جاءتْ أولًا أرواحٌ لامعةٌ – ليستْ أرواح أشخاص – يتراقصون ويُفَرِّقونَ زهورًا – تسقط في صمتٍ – زهورًا خفيفة الحمل. رغم انَّه بمقاييس عالم الاشباح، كانت كلّ بَتَلة لتزن مئة ضعف ولكان سقوطها أشبه بتَحَطُّم الصخور العملاقة. بعدئذ يمينًا ويسارًا على جانبيّ جادَّة (ممر) الغابة أتَتْ أشكالٌ شابَّةٌ؛ صبيان من جهة وفتيات من الجهة الاخرى. إن استطعتُ تَذَكُّر غناءهم وكتبتُ النوتات لَمَا مَرِضَ أو شَاخَ كلّ من قرأ هذه المقطوعة الموسيقية. وسارَ بينهم موسيقيون ثمّ سيدةٌ لشرفها صُنِعَ كلّ هذا.

لا يمكنني تّذَكُّر ما إذا كانت عارية أم مكسوَّة؛ إن كانت عارية فلابد وأن تكون هالة الظل[٤٦] التي للطفها وبهجتها والتى بالكاد تُرَى هيَ ما خلَّفت في ذاكرتى خيال قطارٍ عظيم ساطعٍ يتبعها على العشب الفرح. وان

---

[٤٦] في الأصل penumbra وهيَ شبه الظلّ الذي يَحدُّ الظلّ من الجانبين عند سقوط الضوء على جسمٍ معتم وهو ما جعله يعتقد أنّها معتمة أي مكسوة رغم كونها عريانة.

كانت مكسوة فخيال العرى بلا شك لهو بسبب النقاء الذي اشرَقَتْ به روحُها من خلال ملابسها إذ ان الملابس في هذه المدينة ليست للتَخَفِّى بل إنَّ الجسد الروحانى يعيش بين ثنايا كلّ الخيوط مُحَوِّلًا اياها أعضاءً حيَّةً. فالرداء أو التاج هناك هو واحد من معالم لابسها تمامًا بنفس قدر شفتيه أو عينيه.

ولكنِّي قد نسيتُ بل إنَّنى أتَذَكَّرُ جزئيًا فقط جمالَ وجهِها الذي لا يُحْتَمَلُ

"هل هذه؟ هل هذه..."؟ همستُ لمعلمي.

فأجاب: "إطلاقًا فهيَ امرأة لم تسمع عنها قطٌّ. عُرِفَتْ على الارض باسم 'سارة سميث' ولقد عاشت في 'جولدرز جرين'[٤٧]".

"تبدو ك-... حسنًا كشخصٍ ذي أهمّيّة خاصة"؟

"نعم إنَّها أحد العظماء ولقد سَمِعتَ أنَّ الشهرةَ هنا والشهرةَ على الارض لهما شيئان مختلفان تمامًا".

"ومن هم هؤلاء العمالقة... انظر أنَّهم يشبهون أحجار الزُمُرُّد... الذين يتراقصون ويلقون أزهارًا من أمامها".

"الم تقرأ 'ملتون'؟ الاف الملائكة الحية يخدمونها".[٤٨]

---

[٤٧] Golders green منطقة في لندن.

[٤٨] في الاصل A thousand livened angels lackey her وهو اقتباس غير دقيق من قصيدة لجون ميلتون والتعبير الدقيق A thousand liveried angels lackey her.

"ومَن كلّ هؤلاء الشبَّان والشابات على الجانبين"؟

"هم ابناؤها وبناتها".

"لابد وأن كان لها عائلةٌ كبيرةٌ جدًّا سيدى"؟

"كلّ رجل أو صبى قابلها صار ابنهًا حتّى ان كان فقط ذلك الصبى الذي أحضر اللحم إلى بابها الخلفى كذلك كلّ فتاة قابلتها أصبحت ابنتها".

"اليس هذا صعبًا قليلًا على ابائهم".

"لا. فهناك من يسرقون أطفال الاخرين ولكن امومتها كانت من نوع مختلف. فأولئك الذين اكتنفتهم (امومتها) عادوا إلى ابائهم الجسدانيين بمزيد من الحب. القليل من الرجال وقعت اعينهم عليها ولم يصيروا بصورة مُعَيَّنة مُحِبِّيها ولكنَّه كان ذلك النوع من الحب الذي جعلهم لا أقل بل أكثر صدقًا تجاه زوجاتهم".

"وكيف... يا إلهي! ما كلّ هذه الحيوانات؛ هِرَّةٌ، هرَّتان، عشرات الهررة وكلّ هذه الكلاب... لكن يا للهول، لا استطيع احصاءهم والطيور والخيول".

"هؤلاء هم حيواناتها الخاصة".

"هل امتلكت حديقة حيوانات أو ما شابه؟ اقصد ان هذا كثيرٌ جدًا".

"كلّ حيوان أو طائر اقترب منها نال جانبًا من حُبِّها وفيها وجدوا ذواتهم والآن فيض الحياة التي تستمدُّها من الآب في المسيح قد تدَفَّقَ فيهم". ونظرتُ إلى معلمي في ذهولٍ فأردف " نعم. الأمر أشبه بأن تُلقى حجرًا في حوض المياه فتنتشر الامواج المُتَّحِدة المركز أبعد فأبعد ومن يعلم أين ستنتهى؟ فالبشرية المُحَرَّرَة لا تزال صغيرة وبالكاد تصل إلى قوتها الكاملة. ولكن هناك ما يكفى من الفرح في الاصبع الاصغر لقديسة عظيمة كتلك السيدة لجَلْبِ جميع الاشياء الميّتة إلى الحياة".

وخلال حديثنا كانت السيدة تتقدم بثبات نحونا ولكن مُتَتَبِّعًا حركة عينيها فهيَ لم تكن تنظر الينا. التفتُّ فأبصرت شبحًا غريب الهيئة يقترب أو بالاحرى شبحين؛ شبح شاهق الطول، رفيع ومرتعش لدرجة بشعة وكان فيما يبدو يقتاد في سلسلة شبحًا آخرًا لا يتجاوز حجمه حجم قردِ حامل الارغن[٤٩]

ارتدى الشبح الطويل قبَّعة سوداء وذَكَّرَنى بشيء لم تستطع ذاكرتي استدعاءَه بالتحديد وإذ أصبح على بُعد بضعة أقدام من السيدة، بسط يده النحيلة المُرتَجِفة على صدره مُباعدًا ما بين أصابعه وقال مُتَعَجِّبًا بصوتٍ

---

[٤٩] Organ- grinder's monkey وهو ساحر تقليدى يلبس في عنقه الارغن ومعه قرد صغير يستخدمه في العابه السحرية.

أجوفٍ: "أخيرًا"، ومرَّةً واحدةً أدركت ذلك الشيء الذي استدعاه من ذاكرتى. كان كَمُمَثِّلٍ رَثّ من المدرسة القديمة فقالت السيدة: "عزيزى أخيرًا".

فقلتُ لذاتي: "بحق للسماء! لا تستطيع بالكاد.. ".

ولكن بعدها لاحظتُ شيئين؛ في المرتبة الاولى لاحظتُ أنَّ الشبح الصغير لم يُقْتَدْ بواسطة الاكبر، لقد كان القزم هو من حمل السلسلة في يده وأمَّا المسرحى فهو من التفَّ الطوق حول رقبتِهِ. وامَّا ثانيًا فقد لاحظتُ انِّ السيدة كانت تنظر إلى الشبح القزم فقط. بدتْ وكأنَّها اعتقدتْ أنَّ القزم هو مَن حَدَّثها أو أنَّها تعَمَّدَتْ تجاهل الاخر. حولَّتْ انظارها إلى القزم المسكين واشَعَّ الحبُ لا من وجهها فقط بل من جميع أطرافها كما لو كان (الحب) نوعًا مِن سائلٍ ما قد استحمَّتْ فيه للتو. وما أفزعنى انها اقتربتْ ثمّ توَقَّفتْ وقبَّلَتْ القزم، إنَّ المرء لَيَقْشَعِرُّ بدنُه عند رؤيتها في هذا الاتصال الوثيق بذلك الشيء البارد الرطب المنكمش ولكنَّها لم تَقْشَعِرّ.

قالت: "فرانك: قبل أي شيء سامحنى على كلّ ما اقترفت من أخطاءٍ وعلى كلّ ما لم أفعله بشكل صحيح منذ اليوم الاول الذي التقينا فيه. أسألك العفو".

نظرتُ إلى القزم بشكل صحيح لأول مرةٍ الآن أو ربما قد أصبح مرئيًا أكثر بقليل لَمَّا استقبل قُبلتَها. يستطيع المرء تَخَيُّل أي نوعٍ من الوجوه امتلك

عندما كان رجلًا، وجهًا صغيرًا بيضاويًا مُنَمَّشًا ذو ذقنٍ ضعيفٍ وخصلة شعرٍ من شارب غير مُكتَمِلٍ. القى عليها لمحةً – لا نظرة كاملة – وكان يراقب الممثل التراجيدي بطرف عينيه وهزَّ السلسلة فكان التراجيدي لا هو من أجاب السيدة.

"هاك، هاك. لن نتحدَّثَ أكثر بشأن هذا فجميعنا يُخْطئ".

وصاحبَ الكلمات: "هاك"، التواء مروِّعٌ لملامحه قَصَدَ به في اعتقادي ابتسامة لعوب متساهلة ثمّ استطرد:

"لن نتحدَّث أكثر حيال هذا. فأنا لا افكر في ذاتي ولكن فيكِ أنتِ. هذا ما شغل عقلي طيلة كلّ تلك السنوات. فكرةُ أنَّك وحيدة وقلبك يتمزَّق عليَّ".

فقالت السيدة للقزم: "ولكن يمكنك الآن أنْ تنَحِّى كلّ هذا جانبًا ولا تفكر فيه إلى الابد فلقد انتهى تمامًا".

وسَطَعَ جمالها جدًّا حتّى انني لم أعد أقدر على رؤية أي شيء آخر. وتحت ذلك الإرغام الجميل نظر اليها القزم بالفعل للمرة الاولى ولوهلة ظَنَنتُه ينمو أكثر إلى رجلٍ ففتح فاه وهمَّ هو نفسه أنْ يتكَلَّم هذه المرة ولكن يا لخيبة الأمل عندما خرجت منه الكلمات التالية.

"هل اشتقتِ إليَّ"؟ قال بصوتٍ كنعيق الغراب وثغاء الشاة.

إلى الآن وحتّى فيما تلى لم يُثنِها شيء عن هدفها ولم يَزَلْ الحب واللطف يتدفقان منها وقالت:

"يا عزيزي ستفهم هذا عمَّا قريب ولكن اليوم.. ".

وصُدِمْتُ مما تلى ذلك فقد تحَدَّث القزم والتراجيدي في انسجام. لا اليها ولكن لبعضهما البعض فحَذَّرا بعضهما قائلَين " ستلاحظ هذا. إنَّها لا تجيب على سؤالنا " وأدركتُ بعدها أنَّهما كانا شخصًا واحدًا أو بالأحرى بقايا ما كان شخصًا ذات مرةٍ وخَشْخَشَ القزم السلسلة مرَّةً أخرى.

"هل اشتقتِ اليَّ"؟ قال التراجيدى للسيدة مُلقيًا برعشة مسرحية في صوته.

"صديقي العزيز"، قالت السيدة ولا يزال انتباهها ينصَبُّ كليًا على القزم فقط: "قد تسعدُ بهذا كما بكل شيء آخر لا تشغل بالك بهذا ابدًا".

وللحظةٍ بالفعل اعتقدتُ أن القزم سيطيع، من جهةٍ لأنَّ ملامح وجهه أصبحت أوضح قليلًا ومن الجهة الاخرى لأنَّ الدعوة إلى الفرح – التي كانت تُنْشَد من كلّ جزءٍ منها بالكامل كأنشودةِ طائرٍ في ليلة من ليالى ابريل

– بدَتْ لي لا تقاوم. فَتَرَدَّدَ ومرة أخرى تَكَلَّم هو وشريكُه [٥٠] في انسجام فقالا لبعضهما البعض.

"سيكون من اللطف والشهامة عدم النقر على هذا الوتر بإلحاحٍ. ولكن أيمكننا التأكُّد من أنَّها سَتُقَدِّر ذلك؟ فلقد فعلنا مثل هذه الاشياء من قبل. فثَمَّة وقتٌ تركناها تستخدم آخر طابع بريدى في المنزل لإرسال خطابٍ لأمِّها ولم تقل شيئًا مع انَّها تعلَم أنَّنا أردنا ارسال خطابٍ أيضًا. لقد اعتقدنا أنَّها سَتَتَذَكَّر وترى كم كنَّا غير أنانيين ولكنها لم تفعل قطُّ. كما كان ثمَّة وقت... اوه. بل أوقات كثيرة وكثيرة جدًا". فهزَّ القزم السلسلةَ و... ".

فصرخ التراجيديّ: "لا يمكننى الغفران ولن أغفر أيضًا. يمكننى مغفرة كلّ ما صنعوه بى أمَّا بالنسبة إلى مآسيكِ.. ".

"آوه الا تفهم"؟ قالت السيدة " ما من مآسى هنا".

"أتقصدين قول،" أجاب القزم وكأنَّ هذه الفكرة الجديدة أنسَتْه للحظة التراجيدي " أتقصدين قول أنَّكِ كنتِ سعيدةً"؟

"الم تُرِدْني سعيدةً؟ ولكن لا يهم. ارِد ذلك الآن أو لا تفكِّر في الأمر أبدًا".

---

[٥٠] في الاصل accomplice وتعنى شريكًا في جريمة أو في عمل شيء غير اخلاقى

غمز القزم وهو ينظر اليها. يستطيع المرء رؤية فكرةً صادمةً تحاول ان تقتحم عقله الصغير ويستطيع أيضًا رؤية أنَّه حتّى بالنسبة له فقد وجَدَ بعض العذوبة فيها وللحظة كادَ أنْ يُفْلِتَ السلسلة ولكن بعدها – وكما لو كانت حبل نجاته – تَشَبَّث بها مرةً أخرى.

"انظري"، قال التراجيدي: " علينا مواجهة هذا"، مُسْتَخدِمًا هذه المرة وتيرةً 'رجولية ((manly' مُتَسَلِّطة. تلك التي تُستَخْدَم في اعادة النساء إلى رشدهن .

فقالت السيدة للقزم: " حبيبى: ما من شيء لنواجهه فأنت لا تريدنى أن اكون بائسة لأجل البؤس في ذاته أنت فقط تعتقد أنَّنى إنْ أحببتُكَ لكان علىَّ أنْ أكون بائسةً. ولكنْ إن تمَهَلَّتَ فقط سترى أنَّ الأمر لا يسير كذلك".

"الحبُّ! " قال التراجيدي ضاربًا جبهته بيده وأردف بطبقة أعمق: "الحب! هل تعرفين معنى الكلمة"؟

فقالت السيدة: "كيف لا؟! إنَّنى واقعةٌ في الحب. في الحب، أتفهم؟ نعم أنا الآن أحب بالحق".

قال التراجيدي: "أتعنين أنَّك لم تحبينى بالحق في الايام الخوالى"؟

فأجابتْ: "فقط بشكل فقير من أشكال الحب وقد سألتُكَ أنْ تَصفَحَ لي وقد كان به القليل من الحب الحقيقى. لكن ما ندعوه

حبًّا هناك بالأسفل كان غالبًا التَّوق لأن نُحَبَّ وبيت القصيد هو أنني أحببتك لأجل ذاتي أنا، لأنني احتجتُك".

"والآن"؟ قال التراجيدي بإيماءة يأس مُبْتَذلة: "والآن لم تعودي تحتاجيني بعد"؟

"بالطبع لا". قالت السيدة وجعلتْني ابتسامتُها أتَعَجَّب كيف أمكَن لكلا الشبحين أن يمتنعا عن البكاء فرحًا.

قالت: "أي احتياجاتٍ يمكن أن أفتَقِدها الآن ولدي كلّ شيء؟ إنَّني مُمْتَلِئة الآن لا فارغة. إنني في المحبة ذاته (اي في الله) لست وحيدةً، قوية لا ضعيفةً. ستصبح مثلي وانظر لن يحتاج أحدُنا الاخرَ الآن ويمكننا البدء في أنْ نُحِبَّ بالحق".

ولكن التراجيدي ظلَّ مُتَقَمِّصًا.

"لم تَعُدْ تحتاجني بعد. لم تعد، لم تعد، لم تعد" قال بصوتٍ مُخْتَنِقٍ غير مُوَجِّهًا الحديث لأحدٍ بعينه واستطرد: "ليتني – لوجه الله [٥١]– ليتني – لوجه الله – رأيتُها صريعةً عند قدميَّ قبل أن أسمع تلك الكلمات، صريعة عند قدميَّ، صريعة عند قدميَّ".

---

[٥١] في النص الاصلى

would to god " he continued but he was pronouncing it GUD"

لست اعلم إلى متى عقدَ ذلك المخلوق العزم على ترديد الجملة إذ وضَعَتْ السيدة حدًّا لذلك: "'فرانك'! 'فرانك'! " صرخت بصوتٍ جعلَ الغابةَ كلها ترنُّ: "انظر الىَّ. انظر الىَّ. ماذا تفعل بهذه الدمية العملاقة القبيحة؟ أَفْلِتْ السلسلة وأطلقها بعيدًا فأنت من اريد. الا ترى الهراء الذي يتَفَوَّه به"؟

تراقص السرور في عينيها فكانت تشارك القزمّ مزاحًا أصعب من أن يفهَمَه التراجيدي. وكافح شيء لا يمكن أن يكون إلَّا ابتسامة للظهور على وجه القزم إذ كان يَتَطَلَّع فيها الآن. لقد تجاوزت ضحكتها خطوطَ دفاعاته الأولى وكان يناضل بقوةٍ لمنعها ولكن فشلَ بالفعل في تحقيق نجاح تام وبالرغم حتّى من ارادته فقد كان يكبر قليلًا.

"أنت أيها الأوزة الكبيرة"، قالتْ: "أي خيرٍ تجنيه من التكَلُّمِ هكذا هنا؟ فأنت تعلم وكذلك أنا أنَّك رأيتنى بالفعل صريعة منذ سنواتٍ عديدة ولكن ليس عند قدميك بالتأكيد بل على الفراش في دار المُسِنِّين ولقد كان دارَ مسنين رائعًا أيضًا فلم يكن ' مارتون' يحلم حتّى بترك الاجساد مُسْتَلقِيَّةً على

الارض! انها لمدعاة للسخرية أن يحاول ذلك الدمية أن يجعل الموت مُبهِرًا [٥٢] هنا فهذا لن ينفع".

[٥٢] في الاصل try to impress about death أي ان يبهر الناس بالموت.

الفصل الثالث عشر

لستُ أدري ما إذا رأيتُ ما هو أبشع من كفاح ذلك القزم ضد الفرح إذ كان بالكاد يُهْزَمُ. بالتأكيد هناك في مكان ما بداخله قبل عصور لا تُحصى وُجِدَتْ ومضات من الفكاهة والمنطق إذ للحظةٍ وبينما تنظر اليه بحبها ومَرَحِها، رأى سخافة التراجيدي. للحظة لم يُسيءْ فهم ضحكتها بتاتًا. أيضًا لابد أنَّه عرف يومًا أنَّ ما من أشخاص يجدون بعضهم البعض سخفاء أكثر من المُحِبِّين. ولكنَّ النور الذي أشرق داخله قد أشرق رُغم إرادته فلم يكن هذا هو اللقاء الذي تَصَوَّره ولم يكن ليقبله. ومرةً أخرى تَشَبَّث بطريق الهاوية (death-line) وفي الحال تحدَّث التراجيدي فقال بصوت عاصف:

"أتجرؤين أن تضحكي على ذلك (المزاح) في وجهى؟. اذًا هذه هيَ مكافأتي. حسنًا جدًّا، لحسن الحظ أنَّكِ لم تولِ اهتمامًا لمصيرى والَّا لشعرتِ ربما بالأسف من أجلى في المستقبل لاعتقادِكِ بأنَّكِ جلبتنِي للخلف إلى الجحيم. ماذا؟ هل تعتقدين بأننى سأبقى بعد الان؟ شكرًا لكِ. أعتقد أننى أدرك سريعًا ما اذا كنتُ غير مرغوبٍ في فى مكان ما. بل 'لا حاجة لي' كان ذلك هو – ان لم تَخُنّى ذاكرتى – التعبير الدقيق".

ومن تلك اللحظة لم يتحدثْ القزم مجددًا أمَّا السيدة فلم تتوقف عن خطابه: "عزيزي لن يرسلك احد للخلف فالفرح بالكامل يكمن هنا وكلّ شيء يدعوك للبقاء". ولكن القزم كان لم يفتر عن التضاؤل إبَّان حديثها.

فقال التراجيدي:

"نعم. هذا صحيح إن كنتِ تعرضين البقاء على كلبٍ. ما زال لدى بعض تقدير الذات واننى ارى أنَّ رحيلى لن يترك أي فرق بالنسبة لكِ. فلا يعنى لك شيئًا أن اعود إلى الشوارع الباردة الكئيبة والموحشة جدًا".

فقالت السيدة: "اياك، اياك يا 'فرانك'. لا تدعه يتكلم هكذا". ولكن الآن فقد بات القزم صغيرًا جدًّا حتّى انها انحنت على ركبتيها لِتُحَدِّثَه في حين أطبق التراجيدي على كلماتها بشراهة كما يلتقط الكلب عظمةً:

"اه لا يمكنكِ سماع هذا"! صرخ بفخر بائس: "لطالما كانت تلك هيَ الطريقة (التي تتعاملين بها). يجب حفظُكِ في مأوى، وتُبْعَدُ عنكِ الحقائق المزعجة. فأنت يا من تستطيعين أن تكونى سعيدة بدوني وتنسيني، لا تريدين حتّى سماع معاناتي. تطلبين بألَّا أخبرك. الَّا أجعلك تعيسةً. الَّا أقتحم سماءك الصغيرة المُختبئة (sheltered) والمتمركزة حول ذاتها وهذه هيَ المكافأة".

فانحنتْ أكثر للتحدُّثَ مع القزم الذي لا يتجاوز حجمُه الآن حجم الهريرة ولا يزال متمسكًا بطرف السلسلة ولا تلمس أقدامه الارض؛ "ليس هذا سبب قولي "اياك"". أجابتْ: " بل قصدتُ "توقَّفْ عن التمثيل" فلا خير في ذلك إنَّه يقتلك أفلتْ السلسلة حتّى ولو الآن".

فصرخ التراجيديّ: ""تمثيل" ماذا تقصدين"؟

أصبح القزم الآن اصغر من أن أُمَيِّزَه عن السلسلة التي كان متشبثًا بها والآن ولأوّل مرة لم استطع التيقُّن ما اذا كانت السيدة تخاطبه هو ام التراجيدي فقالت:

" أسرع، فلا يزال هناك وقت. أوقف الامر. أوقفه في الحال".

" أُوقِفُ ماذا"؟

"استخدام الشفقة – شفقة الاخرين – بالشكل الخاطئ. جميعنا قام بالمثل قليلًا على الارض. أتعلم؟ فالشفقة قُصِدَ بها أن تكونَ مِنَخَسًا يستحثُّ الفرح لمساعدة التعاسة ولكن يمكن استخدامها على نحوٍ خاطئ، في الاتجاه المعاكس، يمكن استخدامها كنوعٍ من الابتزاز. فأولئك الذين يختارون البؤس يستطيعون ابتزاز الفرح (اى الفرحين) عن طريق الشفقة. ترى أنَّنى أعرف الان. لقد فعلتَ ذلك كطفلٍ فبدلًا من القول بأنَّك متأسف،اعتزلتَ متنكدًا (sulked) في عُلِّيَتَك لأنَّك كنتَ تعلمُ

أنه عاجلًا ام آجلًا ستقول احدى اخواتك ' لا أحتمل تَصَوُّرَه قابعًا وحيدًا يبكى هناك' لقد استخدمت الشفقة لابتزازهم ولقد استسلموا في النهاية وبعد ذلك عندما تزوجنا... اوه لا يهم فقط ان كنت ستوقف الامر".

فقال التراجيدي: "اذًا كان هذا كلّ ما عرفتيه في شخصيتي بعد كلّ تلك السنين".

لا أعلم كيف أصبَحَ القزم الآن ربما كان يتسلق السلسلة كالحشرة وربما ابْتُلِعَ بطريقة ما داخل السلسلة.

"لا يا 'فرانك' ليس هنا"، قالت السيدة: "اصغ إلى صوت المنطق. هل اعتقدتَ أنَّ الفرح خُلِقَ ليعيش أبد الدهر تحت ذلك التهديد؟ ليكون دائمًا أعزل (بلا دفاع) أمام أولئك الذين يُفَضِّلون أن يكونوا بائسين من أن يَصلبوا ارادتهم الذاتية؟ إذ أنَّ هذا هو البؤس بعينه. اعلمْ ذلك الان. لقد جعلتَ نفسَكَ تعِسًا جدًّا ولا زلتَ تستطيع فعل ذلك ولكنك لا تستطيعُ التواصلَ مع تعاستكَ هذه. كلّ شيء يصبح أكثر فأكثر ذاته. وهنا الفرح الذي لا يمكن أن يُزَعْزَع. يستطيع نورُنا أن يبتلع ظلامَكَ أمَّا ظلامُك فلا يقدر الآن أن يصيب (infect) نورَنا. لا، لا، لا. تعال انت الينا فنحن لن نُقْبِلَ اليك. هل أمكنَكَ

حقًا الاعتقاد بأنَّ الحب والفرح سيظلان دائمًا تحت رحمة العبوس والتنهدات؟ أو لمْ تعلمُ أنهما (الحب والفرح) أقوى من أضدادهما"؟

"الحب، كيف تجرئين على استخدام هذه الكلمة المُقَدَّسة"؟ قال التراجيدي ململمًا اليه السلسلة في نفس اللحظة والتى ظلَّتْ لبعض الوقت متأرجحةً بلا هدف نحوه وبطريقة ما تَخَلَّصَ منها. لست متأكدًا ولكنِّى أعتقدُ أنه ابتلعها. بعدها ولأول مرة كان واضحًا أنَّ السيدة رأته وخاطبته هو وحده فقالت:

"أين 'فرانك'؟ ومن أنت يا سيدي؟ لم أعرفُكَ قطٌّ ربما من الافضل أن تتركنى وشأنى. أو تبقى، إن أحبَبتَ ذلك. إن كان هذا سيساعدك وإن كان هذا ممكنًا فسأذهب معك إلى الجحيم في الاسفل ولكنك لا تستطيع جلب الجحيم بداخلي".

"أنتِ لا تحبينني". قال التراجيدى بصوتٍ رفيع كصوت الخفافيش وقد بات الآن من الصعب جدًّا رؤيته.

قالت السيدة: "لا أقدرُ أنْ أحبَّ أكذوبةً. لا أقدر أن أحبَّ شيئًا ليس ذاته (ليس حقيقيًا) اننى في المحبة وخارجه لا يمكننى أن أذهب".

لم تكن هناك اجابة فلقد اختفى التراجيدي وبقيت السيدة وحيدة في ذلك الموضع من الغابة بينما تقدَّمها طائرٌ بُنيٌّ متقافزًا يثنى بأقدامه الخفيفة العشب الذي عجزتُ أنا عن ثنيه.

وفي هذه الأثناء نهضتْ السيدة وهمَّتْ بالرحيل. فتقدمَّتْ الارواح اللامعة الاخرى لاستقابلها متغنين.

الثالوث الفرح هو بيتها فلا يستطيع شيء أن يزعجَ سعادتها.

فهى الطائر الذي يفلتَ من جميع الشِباك والآيل البَرِّى الذي يقفز من فوق كلّ فخٍ.

كالدجاجة الأم بالنسبة لفراخها وكالدِّرع للفارس كذلك السيد بالنسبة لعقلها بنقائه الثابت.

لن تخيفها البعابع في الظلام ولن يرهبها الرصاص في النهار.

الأكاذيب المتَخَفِّية في صورة حقائق تهاجمها ولكن هباءً فهيَ ترى من خلال الكذب كما الزجاج.

الجمرة الخفية لن تؤذيها ولا ضربة الشمس القائظة.

فشل الفٌ في حلِّ المشكلة وعشرة الاف اختاروا المُنْحَنى الخاطئ وأمَّا هيَ فتمرُّ بسلام.

إنَّه يفرز آلهةً غير فانين لرعايتها في كلّ طريق عليها أن تسلكه فيأخذون يدها في الاماكن الوعرة ولن ترتطم بحجرٍ في الظلام أصابعها.

يمكنها السير وسط الاسود والأفاعي، وسط الديناصورات وأوكار الاشبال.

هو يشملها بعظمة الحياة ويقتادها لِتَري مشتهى الامم.

"وإلى الآن، إلى الآن..". قلتُ لمعلمي بعد أن قطعتْ جميع الاشكال والمغنين مسافة ما مبتعدة داخل الغابة: "إلى الآن لستُ مُتأكدًا. أيُحتَمل فعلًا انها يجب الَّا تتأثر ببؤسه حتّى ذلك الذي صنعه بنفسه"؟

"أتُفَضِّل أن يظلَّ مالكًا القوة لتعذيبها؟ فلقد فعل ذلك لأيام وسنين خلال حياتها الارضية".

" حسنًا، لا. أعتقد أننى لا أريد ذلك".

" فماذا اذا"؟!

"بالكاد أعلم يا سيدى ما يقوله الناس على الارض أنَّ الهلاك الأبدي لأحد الارواح يُكَذِّبُ (give the lie to) بالكامل فرح اولئك الذين خَلِصوا".

"انت ترى أنَّه لا يفعل".

"أشعر أنَّه بشكلٍ من الاشكال يجب أن يكون هكذا".

"يبدو هذا رحيمًا. ولكن انظر إلى ما يكمن وراءه".

"ماذا"؟

"الطلب من الخالين من الحب ومسجونى ذواتهم بأنهم يجب أن يبتَزّوا العالم، إنَّه إلى أنْ يُقِرّوا بأنهم أصبحوا سعداء – بحسب مفهومهم هم – لا يذوق أحدٌ آخرٌ السعادة، أنَّ سُلطَتِهم يجب أن تكون السلطة الاعلى. أنَّ الجحيم يجب أنْ ينقضَ السماء".

"لم أعد أعرف ماذا أريد سيدى".

"بنى، بنى. انهما طريقان لا ثالث لهما فإمَّا ان يأتي النهار لا محالة، حينها يَعُمُّ الفرح ولا يقدر جميع صانعى التعاسة أن ينقلوا العدوى اليه. أو أن يستطيع صانعو التعاسة للابد أن يدَمِّروا في الاخرين السعادةَ التي يرفضونها. أعلم أنَّ لذلك صديً عظيم أن تقول بأنَّك لن تقبل خلاصًا يترك حتّى ولو واحدًا فقط في الظلمة الخارجية، ولكن احترس من هذه السفسطة لئلا تقيم كلبًا في معلفةٍ طاغيةً على الكون".

"ولكن أيجرؤ أحد على القول – إنَّه لأمر بشع أن يقول هذا – بأن الشفقة يجب أن تموت إلى الابد"؟

"عليك التمييز. ففعل الشفقة سيستمر إلى الابد امَّا العاطفة فلا. عاطفة الشفقة، الشفقة التي تجعلنا نُعانى في الواقع، الالم الذي يدفع الرجال لارتكاب ما لا يجب ارتكابه وأن ينافقوا حين يجب أن يقولوا الحقيقةَ. الشفقة التي خَدَعتْ نساءً كثيرات

فسَلَبَتهن عُذْرِيَّتهن كما خَدَعتْ رجال دولة كُثُر فسرقت امانتهم. هذه ستموت فلقد استخدِمتْ كسلاحٍ في ايدى الاشرار ضد الصالحين هذا السلاح سيُكسَرُ".

"وماذا عن الاخر، الفعل"؟

"إنَّه سلاح ولكن لدى الجبهة المقابلة. إنَّه يقفز أسرع من الضوء من أعلى مكانٍ إلى أدنى مكانٍ جالبًا الشفاء والسعادة مهما كان الثمن. فهو يُحَوِّلُ الظلام نورًا والشر خيرًا. ولكنه لن يفرض – تحت تأثير دموع الجحيم الماكرة – على الخير طُغيان الشر. كلّ مرض يخضع (بارادته) للعلاج سيُشفَى ولكننا لن ندعو اللون الازرق أصفرًا لإرضاء اولئك الذين يُصِرّون على الاستمرار بمرض الصفراء (jaundice) ولن نجعل من حدائق العالم مقلبًا للقمامة لأجل البعض الذين يكرهون رائحة الزهور".

"تقول بأنه سيذهب إلى ادنى مكان يا سيدى ولكنها لم تهبط معه إلى الجحيم. لا، ولم توَدِّعه حتّى إلى الحافلة".

"الى اين أردتها أن تذهب"؟

"لماذا! إلى المكان الذي جئنا منه جميعًا بواسطة تلك الحافلة. ذلك الخليج الذي يقع على حافة المنحدر، هناك. لا يمكنك رؤيته من هنا ولكن بالتأكيد تعرف المكان الذي أقصده".

ابتسم معلمي ابتسامة غريبة قائلًا: "انظر"! وانحنى على يديه وركبتيه ففعلت مثله (لَكَم آلم ذلك ركبتيَّ) فرأيته يقطف ورقة من العشب مُستَخدمًا نهايتها المُدَبَّبة كمؤشرٍ وجعلنى أرى – بعد أن نظرتُ عن كَثَبٍ – شقًّا في التربة، صغيرًا جدًّا حتّى أننى لم أكن لأراه لولا هذه المساعدة.

"لستُ متأكدًا " قال " أنَّكَ أتيت من هذا الشق ولكن بالتأكيد من شقٍّ ليس أكبر من هذا قد أتيتَ".

"ولكن، ولكن". قلتُ ناهجًا وشعور بِحَيرَةٍ غير بعيدة عن الرعب يخالجنى " لقد رأيت هاويةً لا نهاية لها ومنحدرات تعلو فوق بعضها البعض وعلى قمتها استقرت هذه المدينة".

"نعم لكنَّ الرحلة لم تكن في الاصل تنقُّل بل أنَّ تلك الحافلة وجميعكم بداخلها كنتم تزدادون في الحجم".

"أتعنى أن الجحيم – تلك البلدة الخاوية اللانهائية بالكامل – تقع بالأسفل داخل أحد الشقوق الصغيرة مثل هذه".

"نعم، الجحيم بأكمله أصغر من حصاة واحدة في عالمكم الارضى بل إنَّه أصغر من ذرة واحدة في هذا العالم: العالم الحقيقى. انظر إلى الفراشة فإنها إنْ ابْتَلَعتْ الجحيم بالكامل فلن يكون كبيرًا كفاية ليسببَّ لها أي ضرر أو حتّى لأن يكون ذا طعمٍ".

"يبدو كبيرًا حقًّا عندما تكون بداخله سيدى".

"ولكن ان طُويَ كلّ ما به من عُزْلَةٍ، غضب، كراهية، حَسَدٍ وشهوةٍ في خبرة (experience) واحدة ووضعت على الميزان امام أصغر لحظة يحظى بها الاصغر في ملكوت السموات فلن تَزِنْ حتّى ما يكفى لأنْ يلتقطه الميزان على الاطلاق. فالشر لا يقدر على النجاح في كونه شريرًا بقدر كون الخير خَيِّرًا. وإن دخلتْ جميع مآسى الجحيم شعورَ ذلك الطائر الدقيق الحجم فوق الغصن هناك فستتلاشى (تذوب فيه) دون أن تترك أي أثر. كسقوط نقطة حبر في المحيط العظيم والذى يُمَثِّل محيطكم الهادئ الارضي بالنسبة له جزيئًا واحدا فقط".

فقلتُ أخيرًا: "فهمتُ، فهيَ لم تناسب الجحيم".

فأومأ برأسه موافقًا وقال: "صحيح، لا يوجد مكان يستوعبها فلم يفتح الجحيم فمه بما يكفى".

"أو لمْ تستطع جعل نفسها أصغر؟ مثل 'أليس'[٥٣] كما تعلم؟"

"لا يوجد شيء صغير بما يكفى؛ إذ أنَّ الروح الهالكة هيَ بالكاد لا شيء، منكمشة ومتقوقعة حول ذاتها. يقرع الخير على الهالكين كما تقرع موجات الصوت آذانَ الصُمِّ ولكنهم لا يستطيعون

---

[٥٣] في قصة 'اليس في بلاد العجائب' حيث احتاجت 'اليس' ان تشرب سائلًا جعلها تصغر في الحجم حتّى تمر من بوابة بلاد العجائب.

استقبالها. أيديهم (أيدى الهالكين) مُغلَّقة، أسنانهم مُطبَقةٌ، وأعينهم مُقْفَلةٌ. في اول الأمر لن يفتحوا أيديهم، بعدها لن يستطيعوا فتح ايديهم لاستقبال الهدايا ولا أفواههم للأكل ولا أعينهم كى يروا".

"اذًا لا يستطيع أحد الوصول اليهم"؟

"فقط أعظم الكل يمكن أنْ يجعل نفسه صغيرًا بما يكفى لدخول الجحيم إذ كلَّما سما الشيء كلَّما استطاع أن يهبط إلى أماكن ادنى. يمكن للإنسان أن يواسى حصانًا ولكن لا يمكن للحصانِ أن يواسيَ فأرًا. واحدٌ فقط قد هبط إلى الجحيم".

"وهل سيفعل ذلك مجدَّدًا"؟

"انها ليست مسألة مرة واحدة فقط قد فعل ذلك منذ زمن بعيد. فالزمن لا يعمل بهذه الطريقة. ما أن تترك الارض فكل اللحظات السالفة والآتية كانت بل ولا زالت حاضرة في لحظة هبوطه (للجحيم). ليس هناك روحٌ في الاسْرِ لم يُبَشِّرْها".

"وهل يسمعه البعض".

"نعم".

قلتُ: "لقد اعتنقتَ المذهب الشمولي[٥٤] في كُتُبِكَ سيدى كما لو كان الجميع سَيُخَلَّصون وكذلك قال القديس بولس أيضًا[٥٥]".

"لا يمكنك معرفة أي شيء عن انقضاء الدهر. أعنى لا شيء يمكن وصفه بهذه المصطلحات (الارضية). قد يكون كما قال ربنا للأم يوليانة[٥٦] أنَّ ' الكلَّ سيكون بخير، كلّ شيء سيكون بخير، وسائر الاشياء المختلفة ستكون بخير' ولكن طرح هكذا أسئلة لهو أمر غير مُجدى".

"لأنَّها مُرْعِبةٌ جميعًا سيدى؟"

"لا بل لأن جميع الاجابات مُضَلِّلَة. إن تناولت السؤال داخل حدود الزمن وتتساءل عن الاحتمالات فالاجابة مؤكَّدةٌ: فاختيار بين الطُّرُقِ مطروحٌ أمامك ولا يوجد طريقٌ مُغْلَقٌ ويمكن لأى شخص أن يختار الموت الأبدي وأولئك الذين يختارونه سينالونه. ولكن ان كنت تحاول أن تقفز إلى الابدية، إن كنتَ تحاول رؤية الحالة النهائية لجميع الاشياء كما ستكون

---

[٥٤] المُعْتَقَد بأنَّ الجميع سيخلصون في النهاية ولن يهلك أحدٌ.

[٥٥] اغلب الظن اشارة إلى قول الرسول في (١ تيموثاوس ٢: ٤).

[٥٦] Lady Julian (١٣٤٢ – ١٤١٦ م) قديسة كاثوليكية عاشت في مدينة نورويتش الانكليزية وعُرِفت بصلاحها واتِّصالها الدائم مع الله.

(هكذا يجب أن نتحدَّث) عندما تختفى جميع الاحتمالات وتبقى الحقيقة وحدها، فإنّك تتساءل عمَّا لا تستطيع الاذان البشرية سماعَهُ. الزمن هو العدسة التي ترى من خلالها رؤية صغيرة واضحة كما يرى الناس من خلال الطرف الخاطئ للتليسكوب شيئًا لولا هذا لكان أكبر من أن يُرى. هذا الشيء هو الحرية، النعمة التي بها تشبهون كثيرًا خالقكم وبها أيضًا تكونون أنفسُكم أجزاءً من الحقيقة الابدية ولكن يمكنك رؤيتها (تلك الحقيقة الابدية) فقط من خلال عدسة الزمن بصورة صغيرة واضحة من خلال التليسكوب المعكوس، صورةَ لحظات تتبع بعضها البعض وانت بذاتك في كلّ لحظة تصنع قرارًا كان من الممكن أن يختلف. فلا تتابع الزمن ولا خيال ما كان بمقدورك اختياره ولم تفعل هما الحقيقة ولكنَّهما عدسةٌ، والصورة رمزية ولكنَّها أصدق من أي نظرية فلسفية – أو ربما أي تصور صوفى – ترعم بأنها تتخطَّى هذه العدسة، إذ أنَّ كلّ محاولة لرؤية شكل الابدية الَّا من خلال عدسة الزمن تُدَمِّرُ معرفتك بالحرية. انظر إلى عقيدة ' سبق الاختيار ' فهيَ تُبَيّن – بصدقٍ كافٍ – أنَّ الحقيقة الابدية لا تنتظر المستقبل حتّى تكون حقيقية ولكن ثمن هذا هو الغاء الحرية والتى هيَ الحقيقة

الاعمق بين الاثنين (الحرية وسبق الاختيار). أو لا يفعل المذهب الشمولى الشيءَ نفسه؟ لا يمكنك أن تتعلم تعريفًا للحقيقة الابدية. فالوقت ذاته وجميع الافعال التي تملأه هو تعريفها ويجب أن يُعاش

قال السيد بأننا آلهةٌ [٥٧]، فإلى متى يمكنك تَحَمُّل النظر – بدون عدسة الزمن – إلى عظمة نفسك والحقيقة الابدية لاختيارها"؟

---

[٥٧] مزمور ٨٢: ٦.

الفصل الرابع عشر

وفجأة تغيَّرَ كلّ شيء ورأيتُ ائتلافًا عظيمًا لأشكال عملاقة، جميعها لا يتحرَّك وجميعها في صمت لا مثيل لعمقه. يقفون أبدًا حول منضدة فضية صغير مُحَدِّقين فيها وعلى الطاولة اشكال صغيرة كقطع الشطرنج. أخذوا يتمشون جيئة وذهابًا ويفعلون هذا وذاك. وعلمتُ أنَّ كلّ قطعة شطرنج لهى تمثالٌ أو دميةٌ تمثل أحد الكيانات العظيمة التي وقفتْ في الجوار بينما شكَّلتْ افعال وتحركات قطع الاشجار لوحة مُتَحَرِّكة، محاكياً أو ممثلًا صامتًا قد رَسَمتْ حدود (معالم) الطبيعة الكامنة في عمق أعماق سيدها العملاق. وهذه القطع هيَ رجال ونساء كما يبدون لأنفسهم ولبعضهم البعض في هذا العالم. الطاولة الفضية هيَ الزمن وأمَّا اولئك الذين يقفون ويراقبون فهم الارواح الخالدة لأولئك الرجال والنساء عينهم. إلى أن استوقفنى الدوار والرعب فتشَبَّثْتُ بمعلمي قائلًا:

"هل هذه هيَ الحقيقة؟ وبالتالى كلّ ما رأيتُ في هذه المدينة كاذب؟ تلك الاحاديث بين الارواح والاشباح، هل كانت فقط محاكاة لخيارات اتُّخِذَتْ بالفعل منذ زمن بعيد"؟

"ولما لا تقول توقُّعات لخيار سيُتَّخذُ عند انقضاء الدهر؟ ولكن من الافضل الَّا تقول هذا أو ذاك. لقد رأيت الاختيارات اوضح قليلًا مما كنت لتراها على الارض. لقد كانت العدسة أوضح

ولكنك ما زلت ترى خلال عدسةٍ. لا تطلب من رؤيةٍ في حلمٍ أكثر مما تستطيع رؤيةٌ في حلمٍ أن تعطيكَ".

"اه حلم؟ اذًا، اذًا. الستُ هنا بالفعل يا سيدى"؟

"لا يابنى" قال برفقٍ آخذًا يده بيدي: "ليس الأمر بهذا الحُسنِ فلا تزال كأس الموت اللاذعة امامك. إنَّك تحلم فقط إن حان الوقت لِتُخَبِّرَ بما رأيتَ فاجعل الامور واضحة بأنَّه لم يزد عن كونه حلمًا. أترى. اجعل الامور واضحة جدًّا، لا تتكلم بإدِّعاءٍ امام ساذج مسكين يجعله يعتقد أنَّك تزعم معرفة ما لا يعرفه أي فانٍ آخر فلن أقبلُ بأمثال 'سويدن بورج' [٥٨] و' ڤيل اوينز' [٥٩] ضمن تلاميذي".

"حرَّم الله سيدى". قلتُ محاولًا أن أبدو حكيمًا.

"لقد حرَّم ذلك وهذا ما أقوله لكَ".

واذ قال ذلك بدا اسكتلنديًا أكثر من أي وقت مضى. كنتُ أحَدِّقُ في وجهه بثبات. وتلاشت رؤيا قطع الشطرنج وعادت امامنا الغابة الهادئة تحت الضوء البارد الذي يسبق شروق الشمس. وبينما أنظر إلى وجهه،

---

[٥٨] Emanuel Swedenborg (١٦٨٨ – ١٧٧٢) عالم ولاهوتى صوفى ادَّعى بأنَّه تسَلَّمَ سفر رؤيا جديد من المسيح خلال رؤى عديدة حظى بها خلال ما لا يقل عن ٢٥ عام

[٥٩] Vale owen (١٨٦٩-١٩٣١) قسّ انجليزى واحد أشهر العرَّافين في القرن العشرين ادَّعى التواصل مع الارواح عقب وفاة والدته فكان يكتب بدون تفكير كما لو كان منساق بوحيٍ أو ميّت

رأيتُ فيه شيئًا بعثَ برعشة انتشرت في جسدى كله ووقفت في هذه اللحظة مديرًا ظهري للشرق والجبال بينما وقف هو قبالتي ناظرًا اليها (اى إلى الجبال). تَوَهَّجَ وجهه بضوء جديد واستحالت نبتةُ سرخس على بعد ثلاثين ياردة خلفه استحالت ذهبيةً. ولمع الجانب الشرقى من كلّ جزع شجرة وازدادت الظلال عمقًا.

طيلة الوقت كان هناك ضجيج، تغريدُ وثرثرة طيور وما إلى ذلك. أمَّا الآن وعلى نحو مفاجئ اندفع الخورس بأكمله من كلّ غصنٍ، أخذت الديكة في الصياح كما أصدرت الكلاب موسيقي وكذلك فعلت الابواق أيضًا وفوق الكلِّ، عشرة الاف لسانٍ بشرى وملائكة الغابة والغابة نفسها تغنُّوا معًا " ها قد أتى، ها قد أتى. استيقظوا ايها النيام فلقد أتى، لقد اتى، لقد أتى".

لمحةٌ واحدةٌ مروعة من فوق أكتافى حاولت أن آخذَ ولم تكن طويلةً كفاية لأن أرى (أو ربما رأيت؟) أطرافَ الشمسِ المشرقة وهى تُصْرِع الوقت بأسهم ذهبية وتُذَرِّى جميع الاشكال الشبحية.

دفنت وجهى صارخًا في طيات رداء معلمي وصحتُ قائلًا " الصباح، الصباح. لقد طالنى الصباح ولا زلتُ شبحًا". ولكن كان الوقت قد فات. فقد سقط الضوء – ككتل صلبة أكثر حِدَّة وثقلًا من أن تُحتمل – راعدًا (thundering) فوق رأسى.

وفى اللحظة التالية كانت طيات رداء معلمي هيَ فقط طيات غطاء الطاولة القديم المصبوغ بالحبر فوق طاولة الدراسة خاصتى والذى كنت قد سحبتُه معى إذ سقطتُ من فوق مقعدى. بينما كانت كتل الضوء هيَ الكتب التي اسقطتُها مع الغطاء هابطةً على رأسي.

استيقظت لأجد نفسي في غرفة باردة مُنحنيًا على الرض إلى جانب مدفأة سوداء فارغة والساعة تدق الثالثة وصافرة الإنذار تعوي من فوقي.

إصدارات دار رسالتنا ودار سلام

١. تاريخ الأمة القبطيّة (جزأين)، مسز بوتشر، دار رسالتنا.

٢. الصمت (رواية)، شوساكو إندو، ترجمة/ موريس، أندرو وهيب، دار رسالتنا.

٣. هل أنت هنا يا الله؟ أنّه أنا.. مارجريت! (رواية)، جودي بلام، ترجمة/ موريس، أندرو وهيب، دار رسالتنا.

٤. التَحوُّل، قصص، تأليف/ باهر عادل، دار رسالتنا.

٥. مخبول صيدا (رواية)، تأليف/ خليل عيد، دار رسالتنا.

٦. الصوم الإفخارستيّ في التقليد الكنسيّ، إعداد/ الأب إسطفانوس دانيال، دار رسالتنا.

٧. قصّة الحب العجيب، إعداد/ أمجد بشارة، دار سلام.

٨. المصادر اليهوديّة في المسيحيّة المبكّرة، ديفيد فلوسير، ترجمة/ أندرو، موريس وهيب، دار سلام.

٩. الثالوث القدوس قبل نيقيّة، مُراجعة لاهوتيّة/ نيافة الأنبا هرمينا، إعداد/ أمجد بشارة، دار سلام.

١٠. يسوع التّاريخ؛ مُقدمة ورؤية تاريخيّة في حياة يسوع، إعداد وترجمة/ أندرو، وموريس وهيب، دار سلام.

١١. تجلي البشرية في المسيح يسوع، إعداد/ كريم كمال شحاته، دار سلام.

١٢. سرّ والدة الإله ، إعداد/ روبير إيليا، دار سلام.

١٣. النص تحت الفحص، إعداد/ د. مارك ألفونس، دار سلام.

١٤. الطبائع الإنسانية وقيادة الروح، تيم لاهاي، ترجمة/ أندرو، موريس وهيب، دار سلام.

١٥. مدخل إلى تاريخ العبادة، إعداد/ د. عادل مجدي، دار سلام.

١٦. التفسير عند الآباء الرسوليّين والمدافعين، جوزيف تيجر، ترجمة/ د.عادل زكري، دار سلام.

١٧. جواهر خامدة، إعداد/ مارينا محسن، دار سلام.

١٨. التاريخ الإنجيل، دراسة تاريخيّة في الأناجيل، سي. إتش. دودّ، ترجمة/ بيشوي جرجس، دار رسالتنا.

١٩. سوء اقتباس الحق (الرد على بارت إيرمان)، تيموثي بول جونز، ترجمة/ أمجد بشارة، دار رسالتنا.

٢٠. دراسة الأناجيل الإزائيّة، إي. بي. ساندرز، مارجريت دايفس، ترجمة/ باسم سمير فرج، دار رسالتنا.

٢١. ليتورجيّة الحياة، دراسة في اللاهوت الليتورجيّ لكنيسة الإسكندريّة، مراجعة/ المتنيح الأنبا إبيفانيوس، إعداد/ ديفيد فاروق، دار رسالتنا.

٢٢. يسوع التّاريخ، دراسة تاريخيّة في الأسبوع الأخير من حياة يسوع، إعداد/ أندرو، موريس وهيب، دار رسالتنا.

يصدر قريبًا عند دار رسالتنا

٢٣. الأصول التاريخيّة للصوم الكبير، نيكولاس روسو، ترجمة/ أثناسيوس القمص إسحق، دار سلام.

٢٤. ورثة المسيح، قراءة في مفهوم التأله عند آباء الكنيسة، إعداد/ أمجد بشارة، دار سلام.

C. S. Lewis.

الطلاق العظيم

The Great Divorce

يُعدَّ الطلاق العظيم قصةً رمزيةً مسيحيةً كلاسيكيةً عن رحلة بالحافلة من الجحيم (دائمًا ما دعاه بالبلدة) إلى السماء (وهي ما دعاها بالمدينة)، تأملًا يفوق الوصف في الخير والشر، في نعمة اللّه وقضائه. وتكمن فكرة سي. إس. لويس الثوريّة في توضيح أنَّ بوابات الجحيم مُغْلَقة من الداخل.

مُستخدماً مَلَكات الكاتب التصويريّة المُذهلة، سيقتادك هذا الكتاب لتغيير مفاهيمك تمامًا بشأن الخير والشر.

واسم هذا الكتاب مُقتبس من مجموعة أشعار للفنان وليم بليك تحت عنوان "زواج الفردوس والجحيم The Marriage of Heaven and Hell" ومن هنا أطلق لِويس على هذا العمل الطلاق العظيم، أي الانفصال بين الفردوس والجحيم.

رسالتنا للنشر والتوزيع